5 ème Année, No. 229

Lundi - 22 - 11 - 1937

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٢٩ « القاهرة في يوم الاثنين ١٩ رمضان سنة ١٣٥٦ — ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

الفهـــرس

ثورة على الأخـلاق !

هل الصلاح غير النجاح ؟

— ما رأيتك يا محمود على هذه الحال منذ عرفتك ! أين السماحة التي تفترُّ في ثغرك ، والغبطة التي تشرق في صدرك ، والرضا الذي كان يجعل من حياتك نموذجاً لعلماء الدين وجهابذة العلم وفلاسفة الخلق ؟

— ماذا أصنع يا صديقي والناس أصبحوا يشككونني في مزايا الأخلاق وقيَم الفضائل ؟ كنت أضطرب في دائرة ضيقة من العيش فيها كل ما في الدنيا الواسعة من لذة الروح بالأهل ، وسرور القلب بالإخوان ، ومتاع العقل بالكتب ، ونشاط الجسم بالعمل ؛ وليس فيها البُحران الذي يحدث من حمّى الهموم ، ولا الجحيم الذي يشبُّ من تحاسد الخصوم ، ولا اللجب الذي ينشأ من تنافس المجتمع ؛ وكنت وأنا في هذا العالم الصغير المحدود أعتقد أن القواعد التي سنها الأخلاقيون لتهذيب الإنسان من الخلال المضادة لغريزته ، قد استطاعت على مر القرون أن تخفت في دمه صوت الحيوان ، وأن تلائم بين موهوب الطبع وبين مكسوب العادة من تناقض الرأي وتعارض الهوى ، وأن تجعل

من سلطانها الغالب دستوراً لحياة الناس ، فيكون بها مقياس السؤدد ، وفيها سبب الرقى ، ومنها وسيلة النجاح . نعم يا صديقى كنت أعتقد ذلك وأستبعد أن يكون للمدنية معنى غير الثقافة ، وللثقافة مدلول غير الكفاية ، وللكفاية نتيجة غير الفوز ، حتى ألجأنى طبيعة عملى العامّ إلى توسيع هذه الدائرة ، فوسعتها بمقدار ما استلزمه هذا العمل من ملابسة الشعب ومراجعة الحكومة ، فإذا كل ما قرأته زور ، وما تخيلته وهم ، وما اعتقدته باطل . ماشيت العامة على منهج الدين فلقيت الكفر ، وعاملت الخاصة على هوى الخلق فوجدت النفور ، وعالجت الأمور على مقتضى القانون فأدركت الخيبة ؛ فذهبت أفتش فى الناس عن أسباب الفوز فلم أجد من بينها سبباً يمت إلى الفضيلة أو يتصل بالكفاية . هذا الباشا فلان يملك القرى بإنسانها وحيوانها وأطيانها ، وله المقعد المرفوع فى البرلمان ، والصوت المسموع فى الحكومة ، والأمر النافذ فى البنوك ، وهو رجل لا يزال على الفطرة الأولى من الوحشية والعنجهية والجهالة . وهذا البك فلان تشغل عمائره الخلاء والهواء من المدينة ، وله على أغلب الأسر دَين ، وعلى أكثر البيوت اختصاص ؛ ولو سألت جيرانه الأولين عن مصدر هذا الثراء الضخم لأجابوك بلهجة المحنَق الموتور بأنه الربا الذى لا يحفل القانون ، والغش الذى لا يبالي النصيحة ، والاختلاس الذى لا يخشى الله ، والبخل الذى لا يذكر الموت . وهذا الموظف فلان يملك القصر المنيف فى أجمل بقعة ، والسيارة الفخمة من أعلى طراز ، والمرتب الضخم من أول درجة ، وله الوصل والقطع فى أمور الناس ، والمنح والمنع فى أموال الدولة . فهل بلغ ما بلغ بعلمه ؟ إنه لا يحمل غير الشهادة الثانوية . هل نال ما نال بكفايته ؟ إنه لا يحسن غير الإمضاء فى الموضع الذى يضع عليه الكاتب الصغير إصبعه من الورقة . إذن لم يدرك الرجل ما أدرك إلا بفضل المرونة التي تكون فيمن خلقوا من المطاط لا من الطين ، فرأسه ذو وجهين ، ولسانه ذو شقين ، وضميره ذو بالين ، وشرفه ذو رأيين ؛ يدارى ويجارى ، وينافق ويمالق ، ويهان فيغضى ، ويستباح فيبيح ؛ وهو متفرق الأحاسيس فلا تجتمع له عاطفة ، متنافر المنازع فلا ينسجم له رأى ، معوج المسالك فلا يستقيم له مذهب

وهذا الأستاذ فلان يأكل فى صحاف الذهب والفضة كالنابغة ، ويخطر فى مطارف النعيم والجاه كابن العميد ، ويملك للناس الضر والنفع كابن عبد الملك ! فلعله أصاب ما أصاب من وراء علمه وخلقه . ليت ذلك كان فتشذ القاعدة ويخطئ القياس ، ولكن الأستاذ نجح وا أسفاه لأنه باع العلم بالسياسة ، واشترى الدنيا بالدين ، واضطرب فى مهب الأعاصير حتى رفعه أحدها على متنه ، ثم استقر على المنحدر الشاهق استقرار الريشة القلقة !

ثم رجعتُ أبحث عن أسباب الفشل فوجدتها لا تخرج عن حدود الفضائل التى تعشقها ابن آدم منذ أدرك ! فالعلم والصدق والصراحة والشجاعة والقناعة والأمانة والنزاهة والأنفة والحلم والتواضع والجود ، كل أولئك عوائق عن درك الغنى ونيل الجاه وكسب الشهرة . وأقوى البراهين على إقناعك أن تستقرئَ أحوال المصابين بهذه الخلال فهل تجدهم إلا أواخر الموظفين فى الديوان ، وأخسر المتعاملين فى السوق ، وأضعف المتنافسين فى المجتمع ؟

لقد تدبرت الأمر فوجدت الفضائل لا تنتصر إلا فى الروايات والقصص ؛ أما التاريخ الذى يسجل الواقع ويروى الحق فهو دامي الصفحات بأخبار الأنبياء والعلماء والفضلاء والمصلحين الذين أوذوا فى سبيل الدين ، وقتلوا فى خدمة العلم ، ونكبوا في مرضاة الحق ، وشقوا فى حب الفضيلة . فهل تقول بعد ذلك إن الأخلاق الفاضلة لا تزال عدة النجاح وطريق السعادة ؟

فقلت له : أما أنها طريق السعادة فنَعامِ ونَعَم . وأما أنها عدة النجاح فلا أجد فى نفسى الآن قوة على تأييده ؛ لأن لى في بعض المصالح مسألة لم يفسدها إلا رعايتى للخُلق ، وفى بعض الوزارات مسألة أخرى لم يعقدها إلا محافظتى على القانون . فليس لك علىّ إلا أن أعرض رأيك على رجال الدين وحماة القانون ودعاة الأخلاق ، ليردوا عليك ما كذب من قولك ، أو يردوا إليك ما عزب من عقلك .

احمد حسن الزيات

بين القاهرة واستنبول

للدكتور عبد الوهاب عزام

١ — دمشق

يا صديق صاحب الرسالة

أحسبك رأيت من قبلُ دمشق فآنقك مرآها ، ونفحتك ريّاها ، وآنستك ذكراها ، ودارت بك منازهها وطرقها بين الماضي المجيد ، والحاضر المجهود ، والمستقبل المنشود . ولعلك أشرفت من قاسيون على البلد الجميل تحيط به الحدائق الشجراء متصلة بين المِزة والغوطة فسرحت الطرف والقلب في مرأى جميل ومنظر بهيج . ولا ريب رأيت بَرَدَى يتبطن الوادي ، ويتسنم الجبل ، وينسرب في شرايين المدينة فيسري في دورها ومساجدها وحماماتها وشوارعها ، وتسمع أحياناً خريره في جوف قناة أو جدار لا تتبين مأتاه ومذهبه . ومن قبلُ قال ياقوت :

« فقلّ أن تمرّ بحائط إلا والماء يخرج منه في أنبوب إلى حوض يشرب منه ، ويستقي الوارد والصادر . وما رأيت بها مسجداً ولا مدرسة ولا خانقاها إلا والماء يجري في بركة في صحن هذا المكان ، ويسحّ في ميضته »

وأحسبك يا أخي مررت بمعاهدها فأحسست وقدة بين الضلوع ، أو طرحت كما يقول البحتري ثقلا من الدموع

أدخلت إلى الجامع الأموي من باب جيرون ورأيت في الطريق المفضية إلى الباب صفا من العمد العادية ، وتمثلت القرون تنسخ القرون ، والعصور تحطم العصور ، وولجت الباب العظيم إلى الصحن الفسيح فالتفت إلى شمالك فرأيت صوز الدور والأشجار والأنهار مصورة بالفسيفساء منذ عهد الوليد . ثم ملت إلى اليمين فدخلت الجامع تروعك العمد العالية الضخمة تمتد في صفوف مديدة ، ورأيت أمام القبلة قبة النسر الشامخة تزهى بما أشرفت على التوحيد في محرابه ، وأظلت الحق في جماله وجلاله

وما أحسبك رقيت في المنارة الشرقية ، وشهدت في مرتقاك حجرة يقال إن الغزالي كان يعتكف فيها ، ثم بلغت القمة بعد جهد فجمعت أمامك المدينة ، وزويت الأرض كأنك تطالع منها صورة في رقعة فقلت :

صعدت في قمة التاريخ مأذنة لها من الحق والتاريخ أحجار

فإذا تركت الجامع الكبير فهناك مشاهد أخرى عظيمة ، وذكريات جليلة

— هل مررت بالرجل الصالح نور الدين محمود ثم البطل المجاهد صلاح الدين يوسف ؟ هل وقفت على ابن أيوب فقلت :

فيا لك قبراً على قربه تظل المقول به في سفر
ويا لك قبراً كمين البصير يحوي العوالم منها صِغر

وهناك المدرسة العادلية وبها المجمع العلمي اليوم ، والمدرسة الظاهرية حيث ضريح الملك الظاهر بيبرس وبها دار الكتب ، ودار الحديث الأشرفية وكان من نزّالها العالم التقي الذي لم تأخذه في الحق رغبة ولا رهبة محيي الدين النواوي . ولا تزال حجرته بها معروفة . ويقول بعض المحدثين ولعله ابن حجر :

وفي دار الحديث لطيف معنى أطوفُ حول مغناه وآوي
لعلي أن أصيب بحُرّ وجهي مكاناً مسّه قدم النواوي

وهل صعّدت في الصالحية إلى ضريح محيي الدين بن عربي أم نفرت من هذا الشيخ الغريب واللغز العجيب ؟ على أن بجانبه بطلاً من أبطال الجهاد وسيفاً من سيوف الجلاد : الأمير عبد القادر الجزائري . وإن أردت مزار الرجل العالم الصالح الصوفي الشاعر ذي المناقب الجيدة وصاحب التأليفات الكثيرة الشيخ عبد الغني النابلسي فليس بعيداً من ضريح محيي الدين تسلك إليه طريقاً مقفرة بها مدارس دارسة ، منها المدرسة القمرية

فإذا صعدت في الصالحية فهناك من الآثار ما يشق تعداده : مدارس ومساجد ومستشفيات ، وهناك جامع الحنابلة الذي قرأ به الذهبي وابن قدامة وغيرهما من كبار العلماء ، والمدرسة الضيائية وكانت تحفظ بها خطوط كبار المحدثين وهي اليوم كتّاب ، حتى ينتهي الصعود إلى مقبرة الصالحية حيث قبر محمد بن مالك النحوي في قبور كثيرة للعلماء والكبراء

وفي أطراف المدينة مشاهد كثيرة للصحابة فمن بعدهم . ولا تنس وقفة على قبر بلال في مقبرة الباب الصغير لترى الأذان مضمراً في كتابه ، وتسمع الصوت مكنوناً في نأيه ، بل تسمعه

جهيراً مدوّياً يملأ الفضاء ، ويبلغ عنان السماء « كالخط يملأ مسمعي من أبصرا » أو كإشارات الموسيقى خطوط فى البصر ، ونغمات فى الأذن ، ووجْد فى القلب . وهل الأذان فى المشرق والمغرب إلا صوت بلال مردداً قد بقى فى القبة الزرقاء صدى توالت رُواته واتصلت نغماته ؟

* * *

وهل جُلْتَ فى النوطة تحنو عليك أشجارها ، وترقرق عليك ظلالها ، وتطالعك من بين الغصون شمسها ، وتتمادى بك مسالكها بين الزروع والأشجار :

سقى الله أرض النوطتين وأهلها   فلي بجنوب النوطتين شجون

وهناك ضريح سعد بن عبادة قد اعتزل الناس فى مماته ، كما اعتزلهم فى آخر حياته :

وهل سرت إلى دوما ومررت بجَوبَر فذكرت قول القائل :

إذا افتخر القيسي فاذكر بلاءه   بزرّاعة الضحاك شرقي جوبرا

أو قول الأمير شكيب أرسلان فى الصديق الأديب الشاعر خليل مردم بك :

« وإليه تجبى جوبر وكنيسها »

* * *

يا أخى وكيف تجيش الفِكَر وتنبع الذِكَر حين يقترب المسافر من المدينة الخالدة فيلاقى نضارتها ويجد رَوحها عند الهامة . فإذا أجاز إلى دُمّر فهناك بردى عن اليمين والشمال متدفقاً فى ظلال الأشجار — أشجار الحور الباسقات — ولله مجلس على بردى تذوب فى مائه النظرات ، وتتساقط عليه من الحور نغمات . فإذا بلغت الشاذروان فَغَمَك عَرف دمشق ، وشممت أخلاطاً من الروائح الطيبة أمدّت بها الأشجار والأعشاب ، روائح يعجز عنها الوصف إلا أن يسميها « نفحات دمشق » . وهل جلست بالربوة فسمعت المعجبين بها يقولون : إنها الربوة التى ذكرها القرآن الكريم فى قوله : « وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين » هناك بَرَدى سبعة أنهر تجرى فى الوادى وعلى الصدفين وفوق الجبل . ويخر من نهر يزيد — وهو فوق الجبل لا يرى — شلال على الربوة لا يمل الشاهد مرآه ومسمعه

أما أنا يا أخى فلست أمل التردد بين دمشق ودمّر أجد هناك جمالاً لا يحد ، وسحراً لا ينفد . وقد رُدت هذه المشاهد مرات،

ورأيت لها فى القمراء آيات ؛ يتمعّج بنا الوادى بين الجبال والأشجار ، ومياه بردى تسيل بها ربوة ، أو يوسوس بها ثعب ، أو يتغنى بها بستان ، فلا تفتأ تسمع منه حديثاً يؤلف مع حفيف الريح موسيقى هذا الجمال الفتان ،والوادى يدور بنا دورانه ، والقمر يلاعبنا بطلعاته ، عن اليمين والشمال وأمام وخلف . وللقلب بين ذلك مضطرَب ، وللشعر مذهب أيّ مذهب . كان يخيل إليّ أن هذه المياه الثرثارة حُزَم من الأشعة ، وأن أشعة القمر رشاش من بردى ، وأن هذا النسيم المعطر مزيج من الماء والضياء ينضح وجوه السابلة : شعر تفيض به الأرض والسماء ، وسحر ينفثه الماء والهواء ، وإلهام يفيض به الجنان ، ويعجز عنه البيان

يا صديقى قد صدق البحترى إذ قال :

إذا أردت ملأت العين من بلد   مستحسن وزمان يشبه البلدا
يُمسي السحاب على أجبالها فرقاً   ويُصبح النبت فى صحرائها بددا
فلست تبصر إلا واكفاً خضلا   أو يانعاً خضِراً أو طائراً غرِدا

دمشق ٢٢ تموز ١٩٣٧   **عبد الوهاب عزام**

مطبوعات

لجنة التأليف والترجمة والنشر هذا الشهر

الثمن	اسم الكتاب
٠١٨	أخبار أبي تمام للصولى
٠٢٠	أمراء البيان للأستاذ محمد كرد على فى جزءين
١٥٠	النقض فى المواد المدنية والتجارية للأستاذين حامد فهمى ومحمد حامد فهمى
٠١٥	الطرائف الأدبية ويشتمل على جملة دواوين شعراء لم يسبق نشرها منها ديوان الصولى والمختار من دواوين المتنبي والبحترى وأبي تمام للإمام عبد القاهر الجرجانى

وتطلب هذه الكتب من اللجنة بدارها رقم ٩ بشارع الكرداسى بعابدين ومن المكاتب الشهيرة

على ذكر الموسوعة الإيطالية

قصة الموسوعة الجامعة

وكيف عرفتها الآداب العربية فى العصور الوسطى

للأستاذ محمد عبد الله عنان

سجل العلم الحديث فتحاً جديداً خطير الشأن بصدور الموسوعة الايطالية (دائرة المعارف)[1] التى بدأ صدورها منذ أعوام ثلاثة فقط ، وصدر المجلد الأخير منها (وهو المجلد السادس والثلاثون) منذ أسابيع قلائل . وإذا كنا ممن لا يؤمنون بمزايا النظام الفاشستى ، فانه لا يسعنا إلا أن نحيي ذلك المجهود العظيم الذى حققه العلم الايطالى فى تلك الفترة الوجيزة ، والذى يعتبر بحق مفخرة للعهد الفاشستى ، خصوصاً وأن الموسوعة الجديدة جاءت حسبما يقرر النقدة مجهوداً علمياً خالصاً بعيداً عن شوائب الدعاية والأهواء

ولهذه الموسوعات العظيمة التى تحشد فيها سائر العلوم والفنون والآداب تاريخ حافل يرجع إلى أقدم العصور ؛ وإذا كانت تغدو اليوم مورداً سهلا لكل طالب وقارىء بما انتهت إليه من سهولة فى الترتيب والتصنيف ، فانها لم تصل إلى نظامها الحالى إلا بعد أن تقلبت فى أطوار عديدة ، واشترك فى تنظيمها كثير من الأذهان فى مختلف العصور والأمم ؛ وكان لتفكيرنا العربى ، حسبما نرى ، نصيب يذكر فى هذا الميدان

وأصل الكلمة أى كلمة « انسيكلوبيديا » التى تطلق اليوم فى جميع اللغات الحية على جميع الموسوعات العلمية والأدبية يونانى ، وأصل الفكرة ذاتها يونانى أيضاً ؛ وكانت تعنى فى اليونانية القديمة مجموعة المعارف التى يجب أن يتزود بها الفتى لاستقبال الحياة العملية ؛ ثم استعملها الرومان وأضحت بمضى الزمن تطلق على جميع العلوم مجتمعة فى سفر واحد . وأقدم مجموعة من هذا النوع انتهت إلينا هو مؤلف بلنى الكبير فى التاريخ الطبيعى الذى يرجع إلى القرن الأول من الميلاد ، وهو مؤلف شامل يتناول كل ما كان معروفاً فى ذلك العصر من الطب والجغرافيا والتاريخ الطبيعى وغيرها من الفنون

ووضعت خلال العصور الوسطى باللاتينية عدة مصنفات شاملة من هذا النوع ، وكان واضعوها بالأخص جماعة من رجال الدين الذين توفروا فى تلك العصور على جمع أشتات العلوم والفنون ، بيد أن هذه المصنفات القديمة كان ينقصها روح التناسق والترتيب العلمى ، ولم تظهر فكرة الموسوعة (الانسيكلوبيديا) بمعناها الحديث إلا منذ القرن السادس عشر . ولم تظهر طلائع الموسوعات الحديثة بترتيبها الفني أو الأبجدى إلا فى القرن السابع عشر كما سنرى

وهنا ، وقبل أن نمضى فى استعراض تاريخ الموسوعة الحديثة يجدر بنا أن نشير إلى الدور الذى أداه التفكير العربى فى هذا الميدان ؛ فقد عرفت الآداب العربية فكرة الموسوعة بمعناها الشامل ، وحققت فى هذا الباب جهوداً خليقة بالاعجاب والتقدير . ومنذ القرن الثالث الهجرى يبدو أثر هذا الميل إلى التصنيف الشامل واضحاً فى كثير من الآثار العربية ، ونستطيع أن نلمس هذا الأثر فى كتب مثل عيون الأخبار لابن قتيبة ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والأغانى لأبى الفرج ، وهى مصنفات يطبعها طابع الموسوعة فيما تتناول من مختلف الموضوعات والأخبار . كذلك نجد روح الموسوعة ظاهراً فى كثير من المصنفات التاريخية العربية ؛ فكتاب الكامل لابن الأثير مثلا يعتبر بحق موسوعة تاريخية شاملة تجمع بين مزايا التعميم والترتيب المدهش ، وكتاب الوفيات لابن خلكان بلا ريب من أقيم موسوعات التراجم . ومما يلاحظ أن الموسوعة الأوربية الحديثة بدأت كما سنرى بهذا النوع من المصنفات والمعاجم التاريخية الشاملة

على أن الآداب العربية عرفت فى مصر نوعاً أتم من الموسوعة الكبيرة الشاملة ؛ ونستطيع أن نقول إن القرن الرابع عشر فى مصر كان عصر الموسوعات ؛ ففيه أخرج شهاب الدين النويرى المتوفى سنة ٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) موسوعته الضخمة « نهاية الأرب فى فنون الأدب » ، وأخرج ابن فضل الله العمرى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) موسوعته الجغرافية والتاريخية العظيمة « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » ؛ وفى أواخر هذا القرن وضع القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) موسوعته

(1) Encyclopaedia Italiana

السياسـية والادارية الضخمة « صبح الأعشى » ، وفى هذه الآثار النفيسة الشاملة نرى طابع الموسوعة وروحها بارزين لا من حيث الضخامة وسـعة الأفق فقط ، بل ومن الناحية العلمية والفنية أيضاً ؛ فكتاب نهاية الأرب الذى يشغل نحو أربعين مجلداً ضخما هو موسوعة تاريخية وجغرافية وأدبية وعلمية وفنية ، يأخذ فى كل من هـذه النواحى بنصيب وافر ؛ وكتاب « مسالك الأبصار » الذى يبلغ نحو عشرين مجلداً ، هو موسوعة جغرافية وتاريخية حفة ، لا يقل من الناحية العلمية والفنية عن كثير من الموسوعات الأوربية المماثلة التى صدرت فى القرن السابع عشر ؛ وكتاب « صبح الأعشى » الذى أصدرته دار الكتب المصرية فى أربعة عشر مجلداً ضخما ، هو موسوعة فذة فى نوعها وقيمتها فهو « دار محفوظات » بأسرها جمت فيه معلومات ووثائق إنشائية وإداريه وسياسية عن الدول المصرية لم تجتمع فى أى مؤلف آخر

هذه الآثار العربية التى نذكرها على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر ، تدل دلالة واضحة على أن فكرة التصنيف الجامع أو بعبارة أخرى فكرة الموسوعة الشاملة ، عرفت فى الآداب العربية وبلغت فيها شأناً يذكر ؛ بيد أن هذه المحاولة العلمية الجليلة وقفت مع الأسف فى منتصف الطريق وحالت دون تقدمها عصور محزنة من الركود والانحلال توالت على التفكير العربي

***

ونعود الآن إلى الموسوعة الأوربية ، فنقول إن طلائع الموسوعات الحديثة ظهرت منذ القرن السابع عشر ، وكان ظهورها بالأخص فى فرنسا ، حيث صدر فى سنة ١٦٧٤ معجم موريرى التاريخى المسمى « القاموس التاريخى الكبير » Grand Dict. Historique مرتباً ترتيباً أبجدياً ؛ وصدرت فى سنة ١٦٩٧ موسوعة بايل التاريخية المساة « القاموس التاريخى النقدى » Dict. Historiqu et Critique مرتباً على الحروف أيضاً ؛ وظهرت أيضاً فى أواخر هـذا القرن موسوعة دربلو الشرقية المساة « المكتبة الشرقية » ؛ ثم تطور نظام الموسوعة بسرعة ، فاتجهت إلى التوسع والترتيب الفني والأبجدى ، وأخذت تغدو شيئاً فشيئاً مرجعاً شاملا لأشتات العلوم والفنون ، وتشعبت مناحيها شيئاً فشيئاً حتى غدت مشروعاً علمياً جامعاً ، بعد أن كانت مجهوداً فردياً فقط ، وساهمت فى إخراجها جميع الآداب الحية بأوفر نصيب

فنى انكلترا بدأت الموسوعة الحديثة بقاموس وضعه القس جون هاريس فى أوائل القرن الثامن عشر عن العلوم والفنون Lexicon Technicum ثم تبعه تشامبرز بموسوعته Cyclopeabia ويعتبر تشامبرز أبا الموسوعة الانكليزية . وفى سنة ١٧٦٨ ، وضع ثلاثة من أهل ادنبورج ، وهم وليم سميلى الطابع ، واندروبل المصور الحفار ، وكولن مكفر كوهار ، وهو صاحب مطبعة ، مشروعاً لاصدار موسوعة جامعة للعلوم والفنون والآداب ، ظهرت فى ثلاثة مجلدات فى سنة ١٧٧١ ؛ وكانت هذه الموسوعة المتواضعة هى الطبعة الأولى من الموسوعة البريطانية Ency. Brittanica ، التى هى اليوم أمثل وأنفس الموسوعات الحديثة . وظهرت الطبعة الثانية بين سنتى ١٧٧٧ و ١٧٨٤ فى عشرة مجلدات ؛ وتوالى صدور طبعاتها الجديدة حتى صدر منها إلى اليوم خمس عشرة طبعة متدرجة فى الضخامة والاتقان ؛ وصدرت طبعتها الأخيرة والخامسة عشرة فى سنة ١٩٣٤ ، فى اثنين وثلاثين مجلداً ضخما غير الفهارس والأطالس ؛ والرأى مجتمع على أن الموسوعة البريطانية هى خير موسوعة فى العالم من حيث مادتها ونظامها وروحها العلمى الخالص

وفى فرنسا ، بعد أن ظهرت المعاجم والموسوعات التاريخية التى أشرنا إليها ، وضع المفكر الفيلسوف ديدرو وعدة من زملائه الأعلام مثل دالامبر وهولباك وجريم موسوعتهم الشهيرة التى ظهرت بين سنتى ١٧٥١ و ١٧٧٢ فى ثمانية وعشرين مجلداً على نمط موسوعة تشامبرز الانكليزية ؛ وكانت هذه الموسوعة التى امتازت بنزعتها الفلسفية المجددة ، وبالثورة على القديم فى كل شىء فتحاً عظيما فى التفكير الفرنسى ، وكان لها أكبر الأثر فى توجيه الذهن الفرنسي إلى الأفكار والمبادئ الجديدة التى سادت عصر الثورة الفرنسية فيما بعد . وظهرت فى القرن التاسع عشر موسوعات لاروس الشهيرة ، ومنها القاموس الكبير الذى يعتبر

فوق مزاياه اللغوية دائرة معارف شاسعة ، وظهرت منها إلى يومنا عدة طبعات مختلفة ؛ وفى أواخر القرن الماضي صدرت الموسوعة الفرنسية الكبرى La Grande Ency بين سنتى ١٨٨٦، ١٩٠٣ فى إحدى وثلاثين مجلداً ، بيد أنها بقيت على طبعتها الأولى حتى اليوم ، وتخلفت بذلك عن مضمار التجديد والاستكمال

وظهرت فى القرن التاسع عشر عدة موسوعات عظيمة أخرى فظهرت الموسوعة الايطالية لأول مرة بين سنتى ١٨٤١ و ١٨٥١ فى أربعة عشر مجلداً ، ثم ظهرت فى أواخر القرن الماضى فى خمسة وعشرين مجلداً ، وظهرت أخيراً بعناية الحكومة الفاشستية فى ستة وثلاثين مجلداً ، صدر الأخير منذ أسابيع قلائل حسبما قدمنا فجاءت بذلك أحدث الموسوعات الأوربية وأتمها من الوجهة الفنية . وصدرت الموسوعة الألمانية فى مائة وسبعة وستين مجلداً تحت عنوان « الموسوعة العامة للعلوم والفنون » ، وبدأها الأستاذان أرش وجروبر سنة ١٨١٣ واستمر صدورها طوال القرن التاسع عشر ولم تكمل إلا فى سنة ١٩٠٥ ، ولم يعد طبعها إلى اليوم . وصدرت الموسوعة الروسية حتى سنة ١٩٠٥ فى واحد وأربعين مجلداً ، وظهرت طبعتها الثانية فى ظل الحكم السوفيتي

ويوجد غير هذه الموسوعات العامة الجامعة موسوعات أخرى فى نواح معينة من العلوم أو الفنون ، مثل الموسوعة اليهودية Jewish Ency ، موسوعة الدين والأخلاق Ency of Religine and Ethics ، موسوعة العلوم التافيزيقية ، وغيرها ؛ ولهذه الموسوعات قيمة علمية خاصة لأنها تجمع أشتات العلم أو الفن الواحد ومراجعه كلها مرتبة أبدع ترتيب

* * *

هـذه خلاصة لتاريخ الموسوعة الجامعة (الانسيكلوبيديا) وتطوراتها ، نسوقها لمناسبة صدور المجلد الأخير من الموسوعة الايطالية الجديدة ؛ بيد أننا ننتهز فرصة هذه المناسبة لنلفت الأنظار إلى أمنية قديمة كثيراً ما رددتها دوائر الأدب العربى فى الأعوام الأخيرة ، وهى أن تعمل دوائرنا العلمية والأدبية المسؤولة لاخراج موسوعة عربية جامعة على طراز الموسوعات الحديثة ؛ وقد بذلت فى العصر الأخير جهود فردية فى سوريا وفى مصر لاخراج موسوعة عربية ، ولكن هذه الجهود لم تكن ذات قيمة علمية أو أدبية تذكر ، خصوصاً وأنها بذلت فى وقت لم تكن الآداب العربية قد بلغت فيه من النضج والكفاية الفنية ما تبلغه اليوم . ولم تبق الموسوعة اليوم عملا فردياً كما كانت فى الماضى ، ولكنها اليوم تنتظم فى سلك المشاريع العلمية الجليلة التى تشرف على تنفيذها الدولة أو الهيئات العلمية القوية . ولدينا اليوم فى مصر ، فضلاً عن وزارة المعارف العمومية ، عدة من الهيئات العلمية القوية الرسمية وغير الرسمية ؛ فى وسعها جميعاً أن تتعاون فى بحث مشروع الموسوعة العربية ، وفى العمل على تنظيمه وإخراجه . ومن المحقق أن مثل هذا المشروع الجليل يلقى من التأييد والنجاح فى مصر وفى جميع البلاد العربية ، ما لقيه حتى اليوم فى جميع الأمم المتمدنة والآداب الحية .

محمد عبد الله عنان

في الاســــلام ضمان للعرش والديمقراطية

للدكتور محمد البهي قرقر

كان من النتائج المباشرة للحرب العالمية الكبرى بعد أن مارست الأمم الكفاح أربع سنوات أن شعرت الطبقات الشعبية بأنها هي التي قامت بالدفاع ، وأنها هي التي كانت تساق إلى ميادين القتال سوقاً ، وأن غرم الحرب من الأنفس كان منها ومن الأموال كان مما تدفعه للدولة . شعرت بهذا فشعرت بأن لها الحق في قيادة الأمة في حال السلم والسيطرة على شئونها لأنها وحدها هي التي تنال أذى الحرب وتتحمل خسائرها فمن العدل أن تقودها

قوى هذا الشعور فأصبح مبدأ ، وازداد هذا المبدأ تغلغلا في النفوس حتى تحول إلى سياسة عملية ، قوامها نصرة الطبقات الشعبية وتمكنها من قيادة دفة الأمور ، ولكن في صورة غير مألوفة من قبل

هذه السياسة العملية صحبها انقلاب رئيسي في نظام الحكومات نشأ عنه نوعان من الحكم الشيوعي والفاشستي ، يتفقان في ادعاء الديمقراطية وهي تمكين الشعب من حكم نفسه تمكيناً عملياً ، ويختلفان في الأسلوب تبعاً لاختلاف العوامل الاجتماعية الأخرى والغاية التي يقصد إليها

الديمقراطية الشيوعية

فالنوع الشيوعي تغالى في المعنى الشعبي وزاد في تقديسه ، أو هو أساء في الواقع فهم المنزلة الشعبية ؛ وتبع تلك المغالاة العداء للطبقة الأرستقراطية وازدياد السخط على الفرد الممتاز أو السيد الحاكم بأمره . وكانت نتيجة سياسته العملية ذات شقين ، أولا إبعاد ذلك الفرد الممتاز عن الحكم ، واضطهاد الطبقة الأرستقراطية ؛ وبعبارة أوسع الطبقة التي كانت تبيح لنفسها ، إما اعتماداً على مالها من شرف أو لما في يدها من مال ، أن تتزعم الطبقات الأخرى الفقيرة والمتوسطة . وثانياً رفع الشعب إلى منصة الحكم

ولكن لم يكد الشعب صاحب هذا النظام يتولى تنفيذ التفويض من جهة والرفع من جهة أخرى حتى اصطدم بالحقيقة الواقعة ، وشعر بأن زوال الرأسمالية التي ترى فيها النظرية الشيوعية السعادة المتوهمة لكل أفراد الشعب ، وتولى الدولة للشئون الاقتصادية وتوزيع العمل والانتاج على الطبقات المختلفة تحقيقاً لمساواة صورية ، عمل يضاد العدالة المبتغاة ، إذ آخر أمره استبداد طائفة من الشعب بأفراد الأمة كلها على صورة قانونية

كما شعر الشعب نفسه ، صاحب هذا النظام ، بعد ما ملك بيده زمام الأمر أن إقصاء صاحب الحق الشرعي في سيادة الدولة وهو القيصر ، كان من الأسباب التي سولت لكثير من أفراد الشعب بأن له حقاً في الرياسة العامة إذ أنه يملك القسط المشترك وهو المعنى الشعبي الذي يخول له هذا . فالخصائص الأخرى في نظره عديمة الأهمية أو يجب ألا يكون لها اعتبار

ومن هذا الشعور النفسي تولدت هذه الثورات الداخلية في السوفييت الروسي ، وسيستمر لهيبها ما بقي هذا الشعور ، وسيظل باقياً ما دام مبدأ الشيوعية يعتقد أو بمعنى آخر ما دامت هذه الفئة الشعبية تملك قوة تسيطر بها على النفوس

وإذن فالمبدأ الشيوعي لا يتفق مع فطرة الجماعة الانسانية التي لا تخضع بطبيعتها إلا إلى واحد منها تعتقد فيه مزايا لا تتوفر لكل فرد من أفرادها ، وخصائصه تعلو به عن طبيعة الإنسان العادي ؛ كما لا يتفق مع طبيعة الأفراد التي لا يمكن أن تكون من نوع واحد ؛ فمساواة إنسان بآخر مساواة مطلقة في كل مرافق الحياة إجحاف بأحدهما لا محالة ، وإنكار للقوة الكامنة في إنسان دون آخر وهي التي قد تخلق منه شخصية بارزة في أية ناحية يفضل بها غيره

إذن فهو نظام (أوتوماتيك) يحاول أن يخلق من جماعة البشر أعضاء لا إرادة لهم إلا ما يريده مباشر السلطة العليا ولا حياة لهم إلا في ظل الضغط . يريد أن ينشئ من الشعب آلات مسخرة للإنتاج العام ، وأن يكون منه جبهة لمقاومة كل نظام آخر يقوم على المبدأ الوطني ويقر بشيء من حقوق التملك للفرد

فغايته إزالة الفوارق الاجتماعية والمالية والطبيعية أيضاً بين

الأفراد ، ثم قيام الدولة وبعبارة أخرى مباشرة الهيئة الحاكمة بأمرها — وإن زعمت أنها تحكم باسم الشعب — للإنتاج الاقتصادى . وفوق ذلك فهو يرى أن له رسالة عالية تتم غايته وهي حمل الشعوب الأخرى على قبول هذا المبدأ الفوضوى

ومحاولة الوصول إلى هذه الغاية إما مستحيلة من الوجهة العملية كإزالة الفوارق السابقة ، وما النداء به إلا إغراء للطبقات الشعبية فقط ، أو اعتداء بيِّن على الحقوق الطبيعية لأفراد الشعب فضلاً عن الإخلال بحقوق الجوار والتدخل فيما هو من اختصاص الدولة الأخرى . فهو نظام ضد الطبيعة وضد المبدأ الخلقى السائد بين الشعوب وهو مبدأ رعاية الجوار

الديمقراطية الفاشستية

أما النظام الفاشستى فهو نظام ديمقراطى أيضاً ، أي نظام مبنى على سيادة الشعب لنفسه ، ولكنه لا يبالغ فى المعنى الشعبي ولا يسيء فهم المساواة بين أفراد الشعب فيجعلها مساواة مزعومة فى الإنسانية

فهو يعترف بسيادة الفرد الممتاز : الملك أو الرئيس الجمهورى ، وبوجوب المحافظة على سيادته ، وبذلك منع الإغراء بالمعنى الشعبي كما أنه لم يجعله وحده سبب التفضيل . فهو إن حرم النظام الأرستقراطي ، أى قصر وظائف الدولة الكبرى على طبقة مخصوصة بما لها من شرف مزعوم ، إلا أنه أباح لأفراد الشعب أن يتولوا تلك الوظائف إذا وهبوا الكفاية فى العمل . وإذن فأساس القيام بالخدمة العامة والانتفاع بسلطة الوظائف الكبرى ليس هو النسب الأصلى على الإطلاق ، ولا هو الشعبية بدون قيد ، وإنما هو الكفاية والجدارة أينما وجدت . فمعنى إقصاء الأرستقراطية عنده عن الحكم إبعاد تلك الطائفة التى استعبدت الطبقات الفقيرة لا لسبب إلا أنها تنتسب إلى أصل قد تعوّد الحكم مع أنها فى نفسها قد تكون مصابة فى مزاجها العقلى ومنحطة فى مبدئها الخلقى . ومعنى تقريب الشعب من الحكومة إعطاؤه هذا الحق وإزالة مبدأ « الأصل والنسب » من طريقه . أما مباشرة أمر الحكومة نفسها فذلك مرهون بالكفاية الشخصية

ولما كان النظام الفاشستى يقرر مبدأ الكفاية فانه لا يقول بإزالة الفوارق الطبيعية بين إنسان وآخر ، أى لا يعمل على إهمالها وعدم اعتبارها لأن ذلك يناقض اتخاذ الكفاية قاعدة للاختيار ، بل بالعكس هو يؤيدها ويتعهد القوى الفطرية في الفرد التى تؤهله لأن يقوم بعمل عام فيما بعد برعاية الدولة

ولأن الكفاية الشخصية هى مبدأ التفضيل فقد أصبحت الفوارق الاجتماعية : فوارق الطبقات المختلفة ، عديمة الأهمية والاعتبار ، كما أصبحت الرأسمالية قليلة الأثر فى اختيار من يقوم بالأمر ويتقلد مناصب الحكومة

أما تحويل الإنتاج الأهلى إلى حكومى ومنح حق التملك للحكومة وحدها ، كما ترى نظرية النظام الشيوعى تحقيقاً لمعنى المساواة الموهومة المثرية ، فلا يجد قبولاً لدى النظام الفاشستى ، لأنه من الوجهة العملية عسير التحقيق فوق ما فيه من إخماد للقوى الفردية وإنكار لمنزلتها الأدبية وإنتاجها العملى أيضاً . ولكنه فى الوقت نفسه يبيح للدولة التدخل فى اختصاص الرأسمالية لمصلحة الفرد العامل وموازنة إنتاج الأمة ، فتدخله بمثابة كف لطغيان الرأسماليين فى الهيئة العاملة ، أو منع محاولة ضغطهم على الحكومة فى توجيهها توجيهاً معيناً لمصلحتهم الشخصية أو لغرض سياسى دولى آخر

الديمقراطية البرلمانية

والواقع أن النظام الشيوعى والفاشستى جاءا وقد وجدا أمامهما مسائل كثيرة عجز النظام الديمقراطي البرلماني عن حلها ، إما تمشياً مع وجهة نظره أو لكثرة إجراءاته وطول مدتها التى من شأنها العمل على تحويل بعض المسائل الاجتماعية الصغيرة فى بدء أمرها إلى معضلات تظهره فيما بعد بمظهر العاجز . ومن أهم تلك المسائل تحكم أصحاب رءوس الأموال فى الطبقات الفقيرة الذى تسبب عنه هذا الجفاء الكبير والعداوة الشديدة بين صاحب العمل والعامل

فالديمقراطية البرلمانية الشائعة التى تفهم من المساواة الأخاء الشعبي والعالمى ، ومن الحرية تفكير الفردنى دائرة القانون العام وعادات الأمة ، ومن العمل أن يتعدى حدود المصلحة العامة إلى غيرها ، هذه الديمقراطية التى تسيء فى الواقع فهم المساواة وفهم الحرية إن هى نجحت فى مكافحة الأرستقراطية أو على الأصح فى كبح طغيانها قد ساعدت على تحكم أصحاب رؤوس الأموال بحجة « الحق

المشروع » والمحافظة على حرية الفرد فى تصرفه فيما يملك ولو كان فى ذلك ضرر الغير وضياع المصلحة العامة . وفى الواقع هى لا تحافظ على حرية الفرد وإنما تغريه بما يخرج عن معنى الحرية الفردية الصحيحة ؛ تغريه أن يتحكم بما له فى الطبقة التى دونه فى الثروة أو على تبذيره والإسراف فيه ابتغاء شهواته النفسية ؛ تغريه بالاستخفاف بعادات غيره ومعتقد السواد الأعظم من الشعب ، كل ذلك باسم الحرية . فهى تؤمن بنظرية الفرد ، Individualismus أكثر من إيمانها بنظرية الجماعة Sozialismus – تقدس الفرد وتضحى بمصلحة المجموع . فللفرد أن يعمل ما شاء وإن فنيت الدولة فى عمله . وهذا فى الواقع رد فعل لحكم الاستبداد الذى سبق الحكم الديمقراطى البرلمانى . فالفردية فى الحكم الأرستقراطى كانت مستمرة لا لمصلحة الجماعة بل لمصلحة الفرد الحاكم . فلما جاء النظام الديمقراطى البرلمانى حرر الفرد من تبعيته تبعية مطلقة للحاكم المستبد وغالى فى ذلك ، وكان من الطبيعى أن يفضل مصلحة الجماعة لأنها لم تكن الهدف للكفاح وإنما الذى كان مقصوداً يسعى لتحقيقه هو حرية الفرد ومصلحته

بقيت مصلحة الجماعة مغفلة وحرية الفرد معكوساً فهمها ، فلما جاء النظام الشيوعى عمل من جديد على تقييد سلطة الفرد الشعبى وخصوصاً فى الناحية المالية ، وقصر حق التملك على الدولة التى حلت فى الواقع محل الفرد فى النظام الديمقراطى البرلمانى . ثم لم يكتف هذا النظام بما فعله نحو الطبقة الأرستقراطية من حد سلطتها بل بالغ فى معاداتها ، أو هو أساء فهم خصومتها كما أساء فهم نصفة الشعب فجاء نظاماً غير عادى ولا مألوف ، نظاماً استبدادياً لا يتفق مع فطرة الفرد ولا مع طبيعة الجماعة

بينما اكتفى النظام الفاشستى بما وقف عنده النظام البرلمانى فى وضع حد الحكم الأرستقراطى وإن خالفه فى فهم معنى الحرية والمساواة . ولذا أجاز لنفسه التدخل فى وضع علاقة للرأسمالية مع الفرد العامل ، وهو تدخل للمصلحة العامة ولمنع الجفاء بين طبقات الشعب المختلفة . وقد كان من أثر هذا التدخل أن توحدت الأمة ، وقد صارت وحدتها فى النهاية عن رضا وفهم متبادل بين الطبقات ، بينما يتحول اتجاه عداوة الشعب وجفائه فى الأمم الديمقراطية البرلمانية من الأرستقراطيين إما إلى الطبقة الحاكمة لأنها تخص نفسها بما له وتضن عليه بما يؤمنه على حياته الضرورية ثم تنظر إليه نظرة صغار لأنها « مهذبة » دونه ، وإما إلى أصحاب رؤوس الأموال لغنهم وتشددهم فى حفظ مصالحهم الخاصة

غاية أنواع الحكم الديمقراطية المختلفة ومعايبها

وإذن فالنقص الذى أخذ أسلوب الحكم الحديث على نفسه العمل لتلافيه هو عدم التوازن إما فى علاقة الطبقة الأرستقراطية بالشعب ، أو فى علاقة أصحاب رؤوس الأموال بالطبقات الفقيرة ، أو فى ارتباط مصلحة الفرد بالجماعة

ومن الطبيعى أن تكون الغاية الايجابية لأسلوب الحكم فى الوقت الحاضر ، ولو على سبيل الادعاء ، تحقيق الإخاء والمساواة ، وبعبارة أخرى العمل على سيادة العدل الانسانى

فالنظام الديمقراطى البرلمانى نظر إلى هذه الغاية نظرة إفراط أو نظرة من ناحية واحدة ، فبينما هو يشل سلطة الهيئة الأرستقراطية إذا به يبيح لأصحاب رؤوس الأموال بمقتضى إفراطه فى منح الفرد حريته التحكم فى الطبقة العاملة ؛ وبذلك اختل توازن العلاقة من جديد ولكن بين طبقتين من الشعب

والنظام الشيوعى ينظر لتحقيق هذا الإخاء وتلك المساواة نظرة هوج وخيال ، فبدل أن يتناول علاقة الطبقة الأرستقراطية بالشعب ، ثم علاقة أصحاب رؤوس الأموال بالطبقات العاملة ، بالتسوية تناولها بالهدم ؛ فزالت الأرستقراطية وزالت الرأسمالية واختل توازن العلاقة مرة أخرى وأصبحت علاقة حاكم مستبد ، مخادع مغرر ، بأفراد شعب سلبوا الحقوق الفطرية والاجتماعية بدل المساواة المزعومة

والنظام الفاشستى نظر إليها نظرة قاصرة على الحدود الطبيعية للأمة ، فعمل على التوازن أيضاً ، ولكن جعل مقياسه مصلحة الجماعة من الشعب ؛ فلا داعى لاضطهاد الأرستقراطيين إذا لم يسيئوا لمصلحة الجماعة ، كما يجب التدخل فى حرية الفرد إذا هددت تلك المصلحة بالخطر . ولأن هذا النظام قصر جهوده على الأمة كان نظاماً وطنياً بحتاً ، بينما المعنى الدولى متحقق بكل معانيه فى النظامين السابقين قبله . ولذا كانت اليهودية العالمية من ألد

خصوم الفاشستية وأعز أنصار الديمقراطية البرلمانية والديمقراطية الشيوعية وإن أزالت هذه الأخيرة نظام رؤوس الأموال لأنها لا تنكر عليهم التوطن فى أى جهة

فالرأسمالى اليهودى لايبيح لنفسه فى دولة ديمقراطية فاشستية باسم حرية الفرد أن يطغى على الطبقة الفقيرة كطغيانه فى فلسطين التى تتبع فى سياستها الرئيسية بلداً ديمقراطياً برلمانياً. فهناك في فلسطين يباح لليهودى المالى أن يجرد العربى الساذج من كل مايملك ، وفى الوقت نفسه يذل العرب فى مجموعهم باسم حرية التملك . وإذا طلب من حكومة فلسطين أن تتدخل فى الأمر لمصلحة الجماعة أجابت بأنها لايمكنها ذلك لما فيه من اعتداء على حرية الفرد . أما المصلحة العامة فهى ضحية تلك الحرية التى لم تفهم على وجهها الصحيح . وأما مجموع الشعب فلا مانع من فنائه تدريجياً مادام الفرد يتمتع بحريته التامة

والواقع أن هذا عكس الطبيعة ، ولا يقر أحد فى أي بقعة من بقاع الأرض أن المجموع يفنى لمصلحة الفرد كما لايقر تضحية الشعب محافظة على تنفيذ نصوص القانون

وقد يظن لأول الأمر أن النظام الفاشستى هو المعتدل من هذه النظم الثلاثة . وقد يكون في ذلك وجه من الصحة . ولكن جمع السلطة وتركيزها فى يد فرد من أفراد الشعب إن أتى بنتائج إيجابية فى وقت وجيز يعجب الانسان منها ومن عظمتها فقد لايضمن الوفاء بأمثالها فى المستقبل إذا ما انتقلت السلطة إلى فرد آخر ربما يستغل هذا التركيز لغير مصلحة الأمة . والمعروف اليوم أنه إذا كان رجال الحكم الفاشستى قد جمعوا كل سلطة فى الدولة فى أيديهم إلا أنهم لايبرمون أمراً إلا بمشورة ذوى الخبرة فى الأمة ويعمونهم أيضاً وإن لم تكن لهم علاقة تبعية بالحزب السياسى . وأنا أذكر أن زعيم ألمانيا يحرص الآن على أن يتولى المناصب الاقتصادية الرجال الإخصائيون فى المسائل المالية ولو كانوا من غير أتباع حزبه ، كما أنه يأخذ برأى وزير الخارجية ووزير الدفاع فى كل المسائل الخارجية وهما لم يتبعا فى يوم من الأيام الحزب الوطنى الاشتراكى

والديمقراطية معنى غير محدود . وكل نظام من نظم الحكم الثلاثة يدعى أنه هو الديمقراطى الصحيح كما ادعى كل فيلسوف من فلاسفة اليونان القدماء أنه هو وحده الذى وصل إلى الحقيقة فى العالم . وفى الواقع لم تكن هناك حقيقة مطلقة ولكنها نسبية مقيدة وإذا كانت هناك حقيقة مطلقة فانها على وفق المقدمات والدعاوى التى يفترضها الفيلسوف لنفسه

الديمقراطية الإسلامية

والآن بعد ما تبين أن من معايب الحكم الديمقراطى البرلمانى الجوهرية فناء المصلحة العامة أو التغاضى عنها محافظة على حرية الفرد المطلقة وعلى مصلحته الخاصة

ومن معايب النظام الشيوعى أن العلاج الذى يتخذه فى توازن طبقات الشعب المختلفة هو الثورة والهدم وأن أسلوب حكمه على العموم هو الفوضى المطلقة

كما أن من نقائص الحكم الفاشستى عدم قابلية الفرد الشعبي الذى بيده سلطة الحكم للعزل مع احتمال طغيانه

بعد ما تبين كل هذا نريد أن نعرف رأي الإسلام والحلول التي يقترحها ضماناً للتوازن ، وبعبارة أخرى تجاه المسائل الاجتماعية التي يهتم بها نظام الحكم الحديث والتى هي في الحقيقة منذ بدء الجماعة الإنسانية تظهر من حين لآخر فى شكل معضلات

نريد أن نعرف رأي الإسلام ، وهل هو مع كونه ناجعاً يتجنب تلك الأخطار التى فى أسلوب الحكم الخاص ؟

الإسلام ليس نظاماً روحياً ، نظام كهنة وكنيسة ، وإنما هو مبادىء خلقية للفرد ، وقوانين عامة تحفظ نظام الجماعة . وهو بهذه الصفة يتدخل فى علاقة الفرد بالفرد وتنظيم علاقته بالمجموع ، وفى علاقته بالمجموع يبنى أيضاً الإخاء والمساواة ، يبني الوحدة ويعمل على تماسكها ، يريد التوازن وتأسيسه على قواعد ثابتة

ولكنه فى إقراره الإخاء يريد تقرير مبدأ آخر للتفضيل بدل مبدأ الجنسية الذى ساد قبل الإسلام ويسود أيضاً الآن من وقت لآخر ، يريد تقرير مبدأ الكفاية والعمل (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فالإخاء معناه عدم اعتبار الانتماء إلى قبيلة أو شعب مرجحاً ومميزاً لفرد عن آخر لمجرد هذا الانتماء كما يقصد اليوم من محاربة الأرستقراطية ، وعدم جعلها القاعدة الأولى فى الاختيار والتفضيل

وفى إقراره المساواة لا يرى زوال الرأسمالية ، ولا منع الفرد من التملك وقصره على الدولة وحدها ، وإنما يقصد المساواة أمام القانون ، أمام المبادىء الخلقية ، أمام التكليف بالواجبات ، والقيام بالأعمال العامة . فليس لشريف أن يخلى نفسه من التكليف ، ولا لحاكم أن يستبد بمصالح الأمة لنفسه اعتماداً على أنه مميز لـ ماله من التهذيب « الرسمى » أو لانتمائه إلى جنس كذا أو قبيلة كذا

وفى إقراره المساواة على هذا النحو لم يمنع التفضيل لصفات أخرى ، لم يحرم الفرد أن ينال جزاء مجهوده الشخصى فى هذه الحياة الدنيا ، ولكنه فرض عليه فيما اكتسبه من علم أو مال أن يخصص جزءاً منه لمن هو دونه ـ لمن هو أقل منه معرفة ، أو أقل ثراء ؛ فرض أن تقرب الخاصة نفسها من عامة الشعب ، حتى لا يكون هناك جفاء بين عالم وجاهل أو عداوة منشأها الحقد بين غنى وفقير ، حتى يكون (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ...) هذا واجب العالم فى علمه فى أية ناحية تعلق علمه بها نحو أمته ، نحو أكثريتها الجاهلة

أما الغنى صاحب الثروة فواجبه فى ماله الزكاة لمستحقيها ، لفقراء الأمة المعوزين . وهو واجب يخف على النفس عمله ، بل يسرها القيام به ، لأنه تلبية لنداء الدين ورغبة ناشئة عن إحساس التدين ؛ وما نشأ عن التدين والاعتقاد كان كالصادر عن التعود ، كالعادة نفسها فى المواظبة على عملها وعدم الشعور بمضض فى الإتيان بها

وليس من شك فى أن التكليف الوضعى أي تشريع الدولة وتقنينها لا يساير التكليف الدينى فى نتائجه الإيجابيـة . فنسبة من يعتقد من أفراد الأمة بعدالة قانون وضعى أقل بكثير ممن يعتقد بعدالة قانون إلـهى ؛ لا لأن القانون الوضعى قد لا يطابق المصلحة العامة ، بل لأنه يعتقد على العموم أن واضعه ممن يجوز بل ممن يغلب عليه الخطأ ، ولكن من ينسب إليه القانون الدينى هو ممن يستحيل عليه فوات الصواب فى تشريعه

وهكذا أثر العقيدة الدينية التى تكوّن من نفس الإنسان جزءها الأعظم . ولذلك كان من المهمة الأولى للدين أن يخلق من التكاليف والالتزامات مبادئ خلقية تُعتقد ، جزاء فعلها أو تركها منوط بالخالق القادر ، وفى عالم آخر لا اطلاع لإنسان عليه فى هذه الحياة الدنيا . وإذن فالشوق إلى جزاء الفعل — كالخوف من جزاء الترك — لا يقاس فى تصور النفس له بجزاء القوانين الوضعية ، لأنه فى عالم محدود معروف فيه أقصى درجة الثواب والعقاب

والمصلح السياسى أو زعيم الدولة الذى يفهم كنه الإصلاح ويهتم بتنفيذه واتباع الشعب له لا يألو جهداً فى بناء قوانينه الإصلاحيـة على مبادئ الدين أو صبغها على الأقل بصبغة دينية حتى يكون لها نصيب من معتقدات الشعب ، وبهـذا يكون لها قوة الاستقرار والدوام . والاستقرار من أهم عوامل نجاح الإصلاح

فكثير من القوانين الإنكليزية وخصوصاً قوانين العائلة الإصلاحية أسست على مبادئ فلسفية خلقيـة قام بها بعض الفلاسفة الإنكليز الدينيين

حتى فى بعض الحكومات الفاشستية التى يُظن أنها تحارب الدين ، تجدها لا تتخلى عن ربط مبادئها السياسية بالمبادئ الدينية العامة ؛ فهى فى الواقع لا تحارب الدين ، وإنما تحارب سلطة الكنيسة ، أى سلطة طائفة أخرى تتمتع بنفوذ كبير فى الشعب ربما تحد من سلطة الدولة . فخطباء الحزب الاشتراكى الوطنى هنا فى ألمانيا يعظون الشعب فى كل يوم أحد بواسطة الراديو محاولين فى وعظهم إرجاع أعمالهم الاجتماعية ، كمساعدة الشتاء ، وخدمة العمل العام ، وتنظيم هدايا عيد الميلاد التى هى أقرب شبه بزكاة الفطر فى الإسلام ، إلى مبادئ الدين الصحيح حتى يضمنوا للحكومة طاعة الشعب ، ومن وراء ذلك تنفيذ أعمالهم الإصلاحية

فقاعدة الحكم عندهم مبنية على قيادة الرئيس وعلى طاعة الشعب له . والدين هو خير ضامن وأقوى كفيل بتلك الطاعة عن رضا واختيار ولمدة طويلة

أما بناء السياسة العامة لتركيا الحديثة على إبعاد الدين فلا يصح أن يقوم حجة على أنها مع ذلك سياسة إصلاحية ثابتة أو أنها ستنجح فى جيل مقبل . فالثقافة التركية التى كان عمادها الدين قد تزعزعت من أساسها ؛ ثم ما يدخله مدعو الإصلاح فى تركيا الحديثة من ثقافات البلاد الأجنبية لا يصح أن يعوض ثقافة

الشعب الأصلية كما لا يؤمل أن يكوّن ثقافة ثابتة في المستقبل للشعب التركي . وما تمتعت به الحكومة التركية للآن من طاعة الشعب لها فسببه عقيدة الشعب التي لم تفن بعد من وجوب الطاعة للقائم بالأمر ، فهو في الواقع أثر من آثار العقيدة الدينية

فإذا كان الإسلام يتدخل في سلطة الرأسمالية بنظام الزكاة فهو تدخل مقبول لدى النفوس بحكم ما فيها من قوة التدين ، وفي الوقت نفسه هو نظام غير مرتبط بقيام فرد بالحكومة دون آخر بل هو كأي نظام ديني أبدي غير مؤقت بوقت

فتقرير مبدأ الإخاء والمساواة على النحو السابق ، والاعتراف بالجزاء على المجهود الشخصي من حق التملك ، ثم حصر نفوذ الفرد في حدود المصلحة العامة ، هو نوع من أسلوب الحكم الديمقراطي الذي لم يصل إليه تشريع وضعي للآن . فقد رأينا كل نوع من أنواع الحكم في العصر الحديث الذي تدعى فيه أوربا أنها وصلت آخر المرحلة التي يمكن للانسان أن يصل إليها ، ومع ذلك فكل نوع منها لا يسلم من أخطار عديدة لاستحالة تنفيذه أو لعجزه عن حل بعض المشاكل الاجتماعية الكبرى ، أو لأنه قد لا يضمن الوفاء في المستقبل بمثل ما حققه الآن من نتائج

وبتقرير الإسلام هذه المبادئ كان نظام توازن واعتدال . لا يترك طائفة تتحكم في أخرى حتى تلجأ الطائفة المتحكم فيها إلى عمل ثوري أهوج مبني على العاطفة وحدها غايته الهدم والتخريب . وبتقريره هذه المبادئ كان أيضاً دين الفطرة والطبيعة ، أي أنه يساير الطبيعة ويقضي على ما شذ منها

ولكونه دين الفطرة والطبيعة كان لنظام الملك منه سند قوي يعتمد عليه في حكمه ، لأنه مفروس في طبيعة الجماعة أن تخضع لفرد واحد منها خضوعاً ناشئاً عن عقيدة ؛ وكلما علا شأن هذا الفرد كانت العقيدة بالخضوع له أشد وأعم . وليس بلازم أن تعرف الجماعة ميزة هذا الفرد — بل من المصلحة العامة ألا تتناوله بالتحليل — وإنما يكفي أن تعتقد أنه ممتاز

فإذا كان هذا الفرد الممتاز الذي يجب أن تكون له السيادة وتخضع له الجماعة ليس من عامة الشعب أمنت حكومته انقلاباً شعبياً ، ولم تكن هناك أطماع في استبداله بآخر ، لأن الشعب مازال يعتقد فيه ميزة ليست لكل فرد . وكلما استقر الحكم في يد من له الأمر كانت نتائجه أثبت وأضمن لمصلحة الشعب نفسه

ونظام الملكية هو أقرب النظم الفطرية للجماعة الانسانية ، بل هو أضمن لوحدة الجماعة ، لأنه يحول بين أي فرد من أفراد الشعب وبين أن تسوّل له نفسه أنه أجدر بالقيام بالأمر من هذا أو ذاك ، مما يترتب عليه ثورات داخلية لا ينطفئ لهيبها كما هو حال النظام الشيوعي اليوم

فكما يميل الاسلام إلى نظام الملكية لأنه أقرب نظم الحكم إلى فطرة الجماعة ، ويفرض طاعة الأمة لرئيسها الأعلى مادام قائماً بدستور الاسلام وهو كتاب الله وسنة رسوله ، كذلك يؤيد روح الشورى ويهيئ الشعب للعمل على وفق مبادئ خلقية ، كمبدإ الشعور بالواجب والشعور بالحرية المهذبة والشعور بالمساواة والاعتراف بالكفايات ، تلك المبادئ التي منها تتكون الديمقراطية الصحيحة

ففي الوقت الذي يأمر فيه الاسلام الشعب بالطاعة لولي أمره حتى تسلس قيادته ، يقيد هذه الطاعة بقيام العدل في الرعية

وفي الوقت الذي ينادي فيه بحرية الفرد حتى فيما يعتقد لا يتركه يتعدى مصلحة الجماعة

وفي الوقت الذي يشجع فيه على اكتساب الرزق ويبيح فيه للفرد حرية التملك ، يكلفه بالتنازل عن جزء مما ربحه لمن أشقاه الفقر في حياته

وهكذا يقصد الاسلام دائماً إلى التوازن والاعتدال ، فهو دين الفرد والجماعة ، بينما الديمقراطية البرلمانية ، كما رأينا ، تتحيز للفرد وحده ، والفاشستية تؤيد الجماعة فحسب ، والشيوعية تهدم مصلحة كل من الاثنين

ففيه كدين فطري للجماعة الانسانية ضمان للعرش ، وفيه كنادٍ بمبدإ الإخاء والمساواة وعامل أيضاً على تحقيق هذا المبدإ بوسائل ناجعة ومنفذ لمبدأ التفاضل على حسب الكفاية والعمل لا غير ، اتباع لقواعد الديمقراطية الصحيحة وحاجز حصين ضد الشيوعية الفوضوية

محمد البهي قرقر
دكتور في الفلسفة وعلم النفس
وعضو بعثة الأستاذ محمد عبده

من الأدب التحليلي

الوحـــــــدة

« مهداة إلى الدكتور إبراهيم مدكور »

للأستاذ علي الطنطاوي

« ... إن كل عناء في الحياة مصدره أننا نحيا منعزلين .
وكل ما نبذل من جهودنا لا نريد به إلا الفرار من هذه العزلة »
جي دوموباسان (الرسالة ٢١٠)

ما آلمني شيء في الحياة ما آلمتني الوحدة . كنت أشعر كلما انفردت بفراغ هائل في نفسي ، وأحس بأنها غريبة عني ، ثقيلة عليّ ، لا أطيق الانفراد بها ؛ فإذا انفردت بها أحسست أن بيني وبين الحياة صحارى قاحلة ، وبيداً مالها من آخر ، بل كنت أرى العالم في كثير من الأحيان ، وحشاً فاغراً فاه لابتلاعي ، فأحاول الفرار ، ولكن أين المفرّ من نفسي التي بين جنبيّ ، ودنياي التي أعيش فيها ؟

إن نفسي عميقة واسعة ، أو لعلي أراها عميقة واسعة لطول ما أحدق فيها ، وأتأمل جوانبها ، فتخيفني بسعتها وعمقها ، ويرمضني أنه لا يملؤها شيء مهما كان كبيراً ... وهذا العالم ضيق أو لعلي أراه ضيقاً لاشتغالي عنه بنفسي ، وشعوري بسعتها ، فأراه يخنقني بضيقه ...

إني أجمع العالم كله في فكرة واحدة أزميها في زاوية من زوايا نفسي ، في نقطة صغيرة من هذا الفضاء الرحيب ، ثم أعيش في وحدة مرعبة أنظر ما يملأ هذا الفضاء ...

إني كلما انفردت بنفسي ، فتجرأت على درسها ، والتغلغل في أعماقها ، بدت لي أرحب وأعجب . فما هـذا المخلوق الذي يحويه جسم صغير ، لا يشغل من الكون إلا فراغاً ضيقاً كالذي يشغله صندوق أو كرسي ... ويحوي هو (المكان) كله ، ويشمل (الزمان) ، وينتقل من الأزل إلى الأبد في أقل من لحظة ، وينتظم (الوجود) كله بفكرة ، وتكاد الحياة نفسها تضل في أغواره ؟

من المستحيل أن نفهم هذا المخلوق الذي ندعوه (النفس) ! لذلك نخاف الوحدة ونفر منها . إننا نخشى نفوسنا ، ولا نستطيع أن ننفرد بها ، فنحب أن نشتغل عنها بصحبة صاحب ، أو حب حبيب ، أو عمل من الأعمال ... ونخشى الحياة ، ونحب أن نقطعها بحديث تافه ، أو كتاب سخيف ، أو غير ذلك مما نملأ به أيامنا الفارغة . وإذا نحن اضطررنا مرة إلى مواجهة الحياة ، ومقابلة الزمان خالياً من ألهيـة تلهو بها ، كما يكون في ساعة الانتظار مللنا وتبرمنا بالحياة وأحسسنا بأن الفلك يدور على عواتقنا . أفليس هذا سراً عجيباً من أسرار الحياة : يكره المرء نفسه ويخشاها ، وهي أحب شيء إليه ؛ ويفر منها ... ويضيق بحياته ، وهي أعز شيء عليه ، ويسعى لتبديدها وإضاعتها ؟

* * *

عجزت عن احتمال هذه الوحدة ، وثقل عليّ هذا الفراغ الذي أحسه في نفسي ، فخالطت الناس ، واستكثرت من الصحابة . فوجدت في ذلك أنساً لنفسي ، واجتماعاً لشملي ، فكنت أتحدث وأمزح وأضحك وأُضحك ، حتى ليظنني الرائي أسعد خلق الله وأطربهم ؛ بيد أني لم أكن أفارق أصحابي وأنفرد بنفسي ، حتى يعود هذا الفراغ الرهيب ، وترجع هذه الوحدة الموحشة

انغمست في الحيـاة لأملأ نفسي بمشاغل الحياة ، وأغرق وحدتي في لجة المجتمع ، واتصلت بالسياسة وخببت فيها ووضعت وكتبت وخطبت ، فكنت أحس وأنا على المنبر بأني لست منفرداً وإنما أنا مندمج في هذا الحشد الذي يصفق لي ويهتف ... ولكني لا أخرج من النديّ ويرفضّ الناس من حولي ، وأنفرد في غرفتي حتى يعود هذا الفراغ أهول مما كان ، وترجع الوحدة أثقل ، فكأنها ما نقصت هناك إلا لتزداد هنا ، كالماء تسد مخرجه فينقطع ، ولكنك لا ترفع يدك حتى يتدفق ما كان قد اجتمع فيه ... فماذا يفيدني أن أذكر في مائة مجلس أو يمر اسمي على ألف لسان ، وأن يتناقش فيّ الناس ويختصموا ، إذا كنت أنا في تلك الساعة منفرداً مستوحشاً متألماً ؟ ..

وجدت الشهرة لا تفيد إلا اسمي ، ولكن اسمي ليس مني ؛ ولا هو (أنا) فأحببت أن أجد الأنس بالحب وأن أنجو به من وحدتي ، فلم أجـد الحب إلا اسماً لغير شيء ، ليس له في الدنيا وجود ، وإنما فيها تقارب أشباح :

أعانقها والنفس بعد مشوقة ... إليها وهل بعد العناق تدان ؟

وألثم فاها كي تزول صبابتي فيشتد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله سوى أن يرى الروحين تلتقيان

ولكن أنى تلتقي الأرواح ؟ وأين هذا الحب الجارف القوى الخالص الذي يأكل الحبيبين كما تأكل النار المعدن ، ثم تخرجهما جوهراً واحداً مصفى نقياً ما فيه (أنا) ولا (أنت) ولكن فيه (نحن) ؟...

فنفضت يدي من الحب ، ويئست من أن أرى عند الناس الاجتماع المطلق ، فعدت بطوعي أنشد الوحدة المطلقة

* * *

صرت أكره أن ألتقي بالناس ، وأنفر من المجتمعات ، لأني لم أجد في كل ذلك إلا اجتماعاً مزيفاً : يتعانق الحبيبان ، ولو كشف لك عن نفسيهما لرأيت بينهما مثل ما بين الأزل والأبد ؛ ويتناجى الصديقان ، ويتبادلان عبارات الود والإخاء ، ولو ظهر لك باطنهما لرأيت كلا منهما يلعن الآخر ؛ وترى الجمعية الوطنية ، أو الحزب الشعبي ، فلا تسمع إلا خطباً في التضحية والإخلاص ، ولا ترى إلا اجتماعاً واتفاقاً بين الأعضاء ؛ ولو دخلت في قلوبهم لما وجدت إلا الإخلاص للذات ، وحب النفس ، وتضحية كل شيء في سبيل لذة شخصية أو منفعة !

وجدتني غريباً بين الناس فتركت الناس وانصرفت إلى نفسي أكشف عالمها ، وأجوب فيافيها وأقطع بحارها ، وأدرس نواميسها وجعلت من أفكاري وعواطفي أصدقاء وأعداء ، وعشت بحب الأصدقاء وحرب الأعداء ...

* * *

إن من حاول معرفة نفسه عرضت له عقبات كأداء ، ومشقات جسام ، فإن هو صبر عليها ، بلغ الغاية ، وما الغاية التي تطمئن معها النفس إلى الوحدة ، وتأنس بالحياة ، وتدرك اللذة الكبرى ! الغاية إلا معرفة الله

وسيظل الناس تحت أثقال العزلة المخيفة حتى يتصلوا بالله ويفكروا دائماً في أنه معهم ، وأنه يراهم ويسمعهم ، هنالك تصير الآلام في الله لذة ، والجوع في الله شبعاً ، والمرض صحة ، والموت هو الحياة السرمدية الخالدة . هنالك لا يبالي الإنسان ألا يكون معه أحد ، لأنه يكون مع الله

علي الطنطاوي

الكميت بن زيد

شاعر العصر المرواني

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٣ —

وقد كان لهذه القصائد في نصرة أهل البيت وتأليب الناس على بني مروان أثرها في النفوس ، حتى لهج بها الخاصة والعامة ، وصار الناس يتقربون إلى الله والرسول بحفظها وتلاوتها ويتناقلون في ذلك رؤى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان الكميت يرى بعضها ، وكان غيره يرى بعضاً آخر منها ، فارتفعت بهذا منزلة الكميت وعلت درجته بين قومه بني أسد حتى كانوا يعدونه من مفاخرهم ، ويقولون : فينا فضيلة ليست في العالم ، ليس منزل منا إلا وفيه بركة وراثة الكميت ، لأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقال له أنشدني :

طَرِبتُ وما شوقاً إلى البيض أطرَبُ

فأنشده فقال له : بوركت وبورك قومك

ويروى من طريق آخر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه وهو مختف بعد أن هرب من سجن بني مروان فيما سنذكره من سيرته ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : مم خوفك ؟ فقال : يا رسول الله من بني أمية ، وأنشده :

ألم ترني من حُبّ آل محمدٍ أروح وأغدو خائفاً أترقّبُ

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : اظهر فان الله قد أمنك في الدنيا وفي الآخرة

وحدث ابراهيم بن سعد الأسدي قال : سمعت أبي يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقال : من أي الناس أنت ؟ قلت : من بني أسد ، قال : من أسد بن خزيمة ؟ قلت : نعم ، قال : أهلالي أنت ؟ قلت : نعم ، قال : أتعرف الكميت بن زيد ؟ قلت : يا رسول الله عمي ومن قبيلتي ، قال : أتحفظ من شعره شيئاً ؟ قلت : نعم ، قال أنشدني :

طَرِبت وما شوقاً إلى البيض أطرَبُ

قال: فأنشدته حتى وصلت إلى قوله:

فما ليَ إلا آل أحمد شيعةٌ وماليَ إلا مَشْعَبَ الحق مشعب

فقال لي: إذا أصبحت فاقرأ عليه السلام، وقل له قد غفر الله لك بهذه القصيدة

وحدث نصر بن مزاحم المنقري أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ورجل بين يديه ينشده:

* مَنْ لقلبٍ مُتيَّمٍ مستهامِ *

قال: فسألت عنه، فقيل لي: هذا الكميت بن زيد الأسدي، قال: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: جزاك الله خيراً وأثنى عليه

وإذا كان الكميت قد نصر بشعره أهل البيت هذا النصر الذي كان له هذا الشأن، فانه وهو الشاعر العالم لم يكن يتجاوز تأييدهم باللسان إلى تأييدهم بالفعل، وكان شأنه في هذا شأن القعدة من الخوارج كعمران بن حطان الشاعر وغيره، ولاغرابة في أن يكون للشيعة قعدة كما كان للخوارج قعدة، بل إن قعدة الشيعة كانوا أكثر من قعدة الخوارج لأخذ الشيعة بالتقية. وقد روى أبو الفرج الأصبهاني أنه لما خرج زيد بن علي كتب إلى الكميت: أخرج معنا يا أعيمش، ألست القائل:

ما أبالي إذ أحفظتُ أبا القا سم فيكم ملامةَ اللُّوَّامِ

فكتب إليه الكميت:

تجودُ لكم نفسي بما دونَ وَثْبَةٍ تظلُّ لها الغربانُ حولي تحجلُ

ولم يكن هذا منه يغضب أهل البيت عليه، بل كانوا هم أيضاً يضنون على نفسه ضنه عليها، ويحبون أن يبقى لهم بشعره الذي يفعل في هدم بني مروان ما لا يفعله بالسيف غيره

وكان على العراق في هذا العهد خالد بن عبد الله القسري، وعلى عرش بني مروان هشام بن عبد الملك، وقد اضطربت الروايات في وصول خبر الكميت وأشعاره إلى هشام اضطراباً كبيراً، فلنسق هذه الروايات المضطربة، ثم نأخذ بعد هذا في نقدها والترجيح بينها

قال أبو الفرج الأصبهاني: كان خالد بن عبد الله القسري فيما حدثني به عيسى بن الحسين الوراق قال: أخبرنا أحمد بن الحارث الفزاري عن ابن الأعرابي، وذكره محمد بن أنس السلامي عن المستهل ابن الكميت، وذكره ابن كناسة عن جماعة من بني أسد أن الكميت أنشد قصيدته التي يهجو فيها اليمن وهي:

* ألا حُيِّيتِ عنا يا مدينا *

فأحفظته عليه، فروى جارية حسناء قصائده الهاشميات، وأعدها ليهديها إلى هشام، وكتب إليه بأخبار الكميت وهجائه بني أمية وأنفذ إليه قصيدته التي يقول فيها:

فيارب هل إلاَّ بك النصر يُرتجَى ويارب هل إلاَّ عليك المعوَّلُ

وهي طويلة يرثى فيها زيد بن علي[1] وابنه الحسين بن زيد (كذا) ويمدح بني هاشم، فلما قرأها أكبرها وعظمت عليه واستنكرها، وكتب إلى خالد يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده، فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدقة بداره، فأخذ وحبس في المحبس. وكان أبان بن الوليد عاملاً على واسط، وكان الكميت صديقه، فبعث إليه بغلام على بغل وقال له: أنت حر إن لحقته والبغل لك، وكتب إليه: قد بلغني ماصرت إليه وهو القتل إلا أن يدفع الله عز وجل، وأرى لك أن تبعث إلى حبي — يعني زوجة الكميت وهي بنت نكيف بن عبد الواحد وهي ممن يتشيع أيضاً — فاذا دخلت إليك تنقبت نقابها ولبست ثيابها وخرجت، فاني أرجو ألا يؤبه لك

فأرسل الكميت إلى أبي وضاح حبيب بن بديل وإلى فتيان من بني عمه من مالك بن سعيد، فدخل عليه حبيب فأخبره الخبر وشاوره فيه فسدد رأيه، ثم بعث إلى حبي امرأته فقص عليها القصة وقال لها: أي ابنة عم، إن الوالي لايقدم عليك ولا يسلمك قومك، ولو خفته عليك لما عرضتك له، فألبسته ثيابها وإزارها وخمرته وقالت له: أقبل وأدبر، ففعل، فقالت: ما أنكر منك شيئاً إلا يبسا في كتفك، فاخرج على اسم الله، وأخرجت معه جارية لها، فخرج وعلى باب السجن أبو وضاح ومعه فتيان من أسد فلم يؤبه له، ومشى والفتيان بين يديه إلى سكة شبيب بناحية الكناس، فمر بمجلس من مجالس بني تميم، فقال بعضهم:

(١) قد رجعنا إلى هذه القصيدة فلم نر فيها ذكراً لهما وإنما ذكر فيها الحسين بن علي وحده على أن الظاهر مما سبق بين الكميت وزيد أن خروجه وقتله كانا بعد هذه الهاشميات لا قبلها

رجل ورب الكعبة ، وأمر غلامه فأتبعه ، فصاح به أبو وضاح يا كذا وكذا لا أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم ، وأومأ إليه بنعله فولى العبد مدبراً ، وأدخله أبو وضاح منزله

ولما طال على السجان الأمر نادى الكميت فلم يجبه ، فدخل ليعرف خبره ، فصاحت به المرأة : وراءك لا أم لك . فشق ثوبه ومضى صارخاً إلى باب خالد فأخبره الخبر ، فأحضر حبى فقال لها : ياعدوة الله احتلت على أمير المؤمنين وأخرجت عدوه . لأمثلن بك ولأصنعن ولأفعلن ، فاجتمعت بنو أسد إليه وقالوا : ماسبيلك على امرأة منا خدعت ؟ فخافهم فخلى سبيلها

قال : وسقط غراب على الحائط فنعب فقال الكميت لأبي وضاح : إني لمأخوذ ، وإن حائطك لساقط ، فقال له : سبحان الله ! هذا ما لا يكون إن شاء الله ، فقال له : لا بد من أن تحولني ، فخرج به إلى بني علقمة وكانوا يتشيعون ، فأقام فيهم ولم يصبح حتى سقط الحائط الذي سقط عليه الغراب

قال ابن الأعرابي قال المستهل : وأقام الكميت مدة متوارياً حتى إذا أيقن أن الطلب قد خف عنه خرج ليلاً في جماعة من بني أسد على خوف ووجل ، وفيمن معه صاعد غلامه ، فأخذ الطريق على القطقطانة وكان عالماً بالنجوم مهتدياً بها ، فلما صار سحيراً صاح بنا : هوّموا يا فتيان ، فهوّمنا وقام يصلي ، قال المستهل : فرأيت شخصاً فتضعضعت له ، فقال : مالك ؟ قلت : أرى شيئاً مقبلاً ، فنظر إليه فقال : هذا ذئب قد جاء يستطعمكم ، فجاء الذئب فربض ناحية فأطعمناه يد جزور فتعرقها ، ثم أهوينا له بإناء فيه ماء فشرب منه وارتحلنا ، فجعل الذئب يعوى ، فقال الكميت : ماله ويله ؟ ألم نطعمه ونسقه ؟ وما أعرفني بما يريد ! هو يعلمنا أنا لسنا على الطريق . تيامنوا يا فتيان ، فتيامنا ، فسكن عواؤه ، فلم نزل نسير حتى جئنا الشام فتوارى في بني أسد وبني تميم . وأرسل إلى أشراف قريش وكان سيدهم يومئذ عنبسة بن سعيد بن العاص ، فمشت رجالات قريش بعضها إلى بعض وأتوا عنبسة فقالوا : يا أبا خالد هذه مكرمة قد أتاك الله بها . هـذا الكميت بن زيد لسان مضر ، وكان أمير المؤمنين كتب في قتله فنجا حتى تخلص إليك وإلينا . قال فروه أن يعوذ بقبر معاوية ابن هشام بدير حنيناء ، فمضى الكميت فضرب فسطاطه عند قبره ، ومضى عنبسة فأتى مسلمة بن هشام فقال له : له يا أبا شاكر مكرمة أتتك ، بها تبلغ الثريا إن اعتقدتها ، فإن علمت أنك تفي بها وإلا كتمتها ، قال : وما هي ؟ فأخبره الخبر ، وقال : إنه قد مدحكم عامة وإياك خاصة بما لم يسمع بمثله ، فقال : عليّ خلاصه فدخل على أبيه هشام وهو عند أمه في غير وقت دخول ، فقال له هشام : أجئت لحاجة ؟ قال : نعم ، قال : هي مقضية إلا أن يكون الكميت فقال : ما أحب أن تستثني علي في حاجتي ، وما أنا والكميت ! فقالت أمه : والله لتقضين حاجته كائنة ما كانت ، قال : قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها ، قال : هي الكميت يا أمير المؤمنين ، وهو آمن بأمان الله عز وجل وأماني ، وهو شاعر مضر ، وقد قال فينا قولا لم يقل ، قال : قد أمنته وأجزت أمانك له ، فاجلس له مجلساً ينشدك فيه ما قال فينا . فعقد له وعنده الأبرش الكلبي ، فتكلم بخطبة ارتجلها ما سمع بمثلها قط ، ومدحه بقصيدته الرائية ، ويقال إنه قالها ارتجالاً وهي قوله :

* قِفْ بالديار وقوفَ زائرْ *

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله :

ماذا عليك مِنَ الوقو ... فِ بها وإنك غيرُ صاغِرْ

درجتْ عليها الغاديا ... تُ الرائحاتُ من الأعاصر

وفيها يقول :

فالآنَ صرتُ إلى أُمَيَّـــةَ والأمورُ إلى المصاير

وجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب في يده فيقول : إسمع إسمع ، ثم استأذنه في مرثية ابنه معاوية فأذن له فأنشد قوله :

سأبكيك للدنيا وللدين إنني ... رأيت يد المعروف بعدك شُلَّتِ

أدامتْ عليك بالسلام تحيةً ... ملائكةُ الله الكرامُ وصلَّتِ

فبكى هشام بكاء شديدا ، فوثب الحاجب فسكته ، ثم جاء الكميت إلى منزله آمناً فحشدت له المضرية بالهدايا ، وأمر له مسلمة بعشرين ألف درهم ، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم ، وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته ، وأنه لا سلطان له عليهم . وجمعت له بنو أمية فيما بينها مالا كثيراً ، وودع هشاماً وأنشده قوله فيه :

* ذكر القلبُ إلْفَهُ المذكورا *

وهذه هي الرواية الأولى فيما كان بين الكميت وخالد بن عبد الله وهشام بن عبد الملك بسبب تلك القصائد السابقة

عبد المتعال الصعيدي

كتاب حضارة العرب

للكاتب الاجتماعي الكبير غوستاف لوبون

للأستاذ خليل هنداوى

تمهيد

لم يسبق أن تردد لفظ المملكة العربية والأمجاد العربية فى يوم مثل هذا اليوم . فني كل صوب من كل قطر عربي يهب هذا الحلم من نومه ويزحف هذا الراقد الفانى إلى حقيقة تمد ذراعيها وتدعو إلى تحقيق وجودها . وكل شيء من هذه الأحداث عامل يسرع فى بيان ضرورة هذه الوحدة التي لايقوم للعرب كيان بدونها . وما قيمة جسد فيه عضو يتحرك وأعضاء جامدة لا تتمشى فيها حركة ؟ وكأن السياسة الاستعمارية أدركت أن هذا التقسيم الذى رمت به الجزيرة العربية إنما هو تخدير موقوت فكيف تعمل على جعله تخديراً دائماً ؟ فخلقت النعرات القومية التي جرفها التاريخ فيما جرف ، والتي بادت من الحاضر حتى أصبحت لا وجود لها ... ولقد فتن بهذه السياسة قوم وعادوا يتجردون من القومية العربية ويحملون على الثقافة العربية ، لأنها فى رأيهم ثقافة لم تحمل شيئاً للانسانية . وإنها لدعوى ملفقة لم يخلقها إلا الوهم الذي خلقته السياسة الاستعمارية ، وجاراها عليه فئة ماتت فيها الفكرة الاستقلالية . وتجاه خطر هذه الفئة التذبذبة التي لاتعرف لها ديناً ولا لوناً من ألوان القومية وجب أن تقوم حملات صادقة لتحطيمها ودوس كرامتها إن كانت لها بقية من كرامة . وهذا واجب تبعث عليه البواعث الوطنية التي تؤمن بحق العرب وثقافة العرب وعظمة العرب !

لقد تناول تاريخ العرب رجال من الغرب ، منهم من كانت تسيره الأهواء ، ومنهم من كان يستلهم العقل والحقيقة وما أقل هؤلاء ! وقد كان بودنا أن نكتب تاريخنا بأيدينا بالهوى والعاطفة كما يقولون ، لأننا نكتبه إذ ذاك بحروف الذهب ، ونرسمه بخطوط اللهب ، لأنه تاريخ قوميتنا وثقافتنا وغابرنا الذي بيده أمر حاضرنا

ألا يكتب كل قوم تاريخهم كما يشاءون ؟ ألا يسجل كل شعب ماضيه كما يرغب ؟ فيا كارهي مجد العرب أى عار وجدتموه إلا عار الأنفة والكبرياء ؟ وأي وصمة أتوا بها إلا وصمة الفتوح والسيادة ؟ ونحن نرى المجد فى الخضوع للمستعمر ، وفى الذل وخفض الجناح ، ونحن نرى الفخر فى فتح أبوابنا له يلجها من يشاء متى شاء . وكيف يلتقى فخرنا وذلك الفخر ؟ وكيف يصافح مجدنا ذلك المجد ؟

لن نعرض لهؤلاء النافرين من مجد العرب شيئاً تسطره أقلامنا وأهواؤنا ، ولكنا عارضون لهم صفحات جليلة ، كتبها رجل لايتعصب لنا ولا يريد باطلاً ولا جزاء ولا شكورا . وإنما ينشد حقيقة ما عرف التاريخ شهيداً كمثلها بين الحقائق التى نقلها . فأراد هذا الرجل إنصاف هذه الحقيقة ، وأراد إنصاف العرب بما كتب

قلت : كنت أريد أن يكتب تاريخنا بعاطفة وحرارة لأنى أعتقد أن التاريخ فى الأمم المتيقظة هو قلب قبل أن يكون عقلاً ، لأن هذه الأمم — وهى فى بدء يقظتها — لأحوج إلى قيادة العاطفة منها إلى قيادة العقل . وإذا عدت إلى استقراء تاريخ كل أمة ألفيت أن العاطفة هي القائدة الهادية ، حتى إذا ماشمت هذه الأمة إلى هدفها واستقام سيرها ، أخذت العاطفة تقر رويداً رويداً ويتسيطر على جوحها العقل . وها هى ذي الأمم الغربية التي تقتفي أثرها ونمجد خيرها على رغم مابلغت من نضج العقل ورسوخ القدم لا تقرأ تاريخها إلا موسوماً بميسم وطنيتها وعاطفتها لأن التاريخ المجرد يأتى هيكلاً مجرداً من الروح ، وإذا لم ترد الأمة أن تطبعه بطابع حياتها وحاجتها ، فما معنى حاجتها إلى هـذا التاريخ إذن ؟ على أننا لا نريد أن يأتى تاريخنا مشوهاً متحولاً مخالفاً للحقيقة ، ولا نريد أن نسجله تسجيلاً كاذباً مختلقاً . ولو قدرنا على ذلك لما فعلنا ، كما فعل ذلك العالم البلجيكي الذي أخذ يلوم أحد قادة الألمان على ما يرتكبون من فظائع فى (بلجيكا) خلال الحرب العظمى وهدده بالتاريخ الذي سيحصي عليهم كل صغيرة وكبيرة ، فما أجابه ذلك القائد إلا بضحكة استهزاء متمماً : « هل تهددنا بالتاريخ ، وما عسى يضع التاريخ ؟ ونحن الأولى نسجله غداً » يريد أن الظافر هو الذي يتولى كتابة التاريخ وتشويه الحقائق . اننا لا نسجل الآن شيئاً ، وانما رجال غربيون يسجلون . منهم صاحب حضارة العرب يسجل تاريخ حضارتنا كما تفهمه وتلمسه . وما أجدر هـذه الفئة المنكرة

الجاحدة لتاريخها وقوميتها بقراءة هذه الصفحات والنظر إلى ماراحوا يتنكرون منه ويوارون وجوههم خجلاً ! وما كان أحق هذه الفئة بالتقديس لو أن لها من القوة والعبقرية والثقافة جزءاً مما لأجدادهم ! ولكنهم قوم عميت منهم الأبصار والبصائر وشغفوا برداء يلبسه جارهم لا حظ لهم منه إلا النظر إذا سمح الجار بذلك

هذا ما بعثني على تعريب هذا الكتاب الذي خرج إلى العالم منذ خمسين عاماً ، ولا تزال الخزانة العربية تجهله ، أو تعرفه وتتخلف عن تبنيه كأنه لا يمسها في شيء أو لا يعنيها من أمره شيء . على أنه كان خير كتاب سطره يراع غربي في التاريخ العربي . ولعل في إرجاء تعريبه سراً لأنه يخرج الآن في وهلة أصبح تعريبه حاجة ماسة لجيل عربي تيقظ على أمجاد غابرة ، وعاد إليه حنينه الأول وحلمه الأسمى ! ومن حق هذه الأمجاد أن نعمل على بمثها حتى تغدو أصواتاً تتردد في كل فج ، وتصبح أصواتها أصداء تتجاوب في كل رجاء

قد يقول بعضهم : إن بين مصادر المؤلف مصادر واهية يظهر ضعفها ، والكتاب ذاته ليس بذي قيمة كبيرة . ولقد يكون هنا لك ضعف في المصادر وضعف في بعض المستنتج ، وضعف في إحصاء أشياء ، ولكن هذا لا يخلع عن الكتاب قيمته العلمية لأنه كتب في عهد بعيد قبل أن تكثر المواد التي جلت تاريخ العرب . وقد أبقينا على هذه الأخطاء لأن القارىء النبيه يستطيع تمييزها بسهولة ، لأننا أحببنا أن ننقل الكتاب صورة صادقة أمينة يطلع القارىء خلالها على آراء الغربيين فينا إبان ذلك العصر . ولكن هذه التهمة لم يكن الباعث عليها ضعف المصادر فحسب ، وإنما تعود أسبابها إلى أن المؤلف الذي يكتب عن العرب ينبغي له أن يعنى بإظهار سيئاتهم وطرح حسناتهم ، وأن يعمل على تصويرهم شعباً مهدماً للمدنية لا بانياً ، فجاء غوستاف لوبون العالم الجريء المنصف خارقاً عادات القوم متخطياً بدعتهم السيئة فكتب عن العرب ما لا يكتبه العرب عن أنفسهم ، وفتح العيون العمى على مالهم من حضارة وفضل على الانسانية بوجه عام ، وعلى الحضارة الغربية بوجه خاص ، ولذلك لم يلق كتابه الرواج المنتظر في أمته : وناهيك بأن سياسة الغرب في ذلك العصر كانت تمد العدد وتختلق الحيل لاستعمار الشرق فكيف يروقها أن يظهر من يمجد لها فضائل هذه الأقطار التي تريد استعمارها بتهمة الوحشية ودعوة التمدين . فكان عدم رواجه نتيجة منطقية معقولة لهذه الفكرة المسمومة ؛ وكانت حملات عليه كاذبة حاولت أن تطعن في العرب وفيمن ينتصر لهم . ومن دواعي الأسف أن هذه الفكرة لا تزال تصاحب هذا الكتاب ، وسوف لا تزال مراقبة له حتى ينفض الغرب يده من هذه الأقطار وييأس من استعمارها !

وقد قص علىّ أستاذ صديق أنه خلال وجوده في باريس طلب إلى إحدى مكتبات الطالعة أن يطلع على هذا الكتاب فتأفف صاحب المكتبة ، فقال له الأستاذ : أراك مشمئزاً ، لعل الموضوع لا يرضيك ! فأجابه : ليست المسألة مسألة موضوع ، وإنما مسألة انتشاله من تحت أنقاض الكتب المتراكمة فوقه . فمد يده إلى خزانة ربما يطلق صاحبها عليها خزانة الكتب المهجورة والمغفلة ، ولبث يقلب حتى علقت يد صاحبنا بالكتاب في قاع الخزانة !

وهذا يدل على أن الفكرة التي شوهته لا تزال ترافقه وأن الغربي قد أتى في خلده أن كل ما يكتب عن الشرق والعرب بلهجة الاعجاب هو شيء كاذب مدسوس ، وإنما الحق كل الحق فيما يتناولها بالذم والسخرية والتحقير . وكأني بأفراد قلائل قد استطاعوا أن يطلقوا عقولهم من هذه الأوهام وينظفوا دم تفكيرهم من هذه السموم ، ولكن عدد هؤلاء محدود ، وما أقلهم لو استطاعوا أن يطهروا أنفسهم !

وأسباب ذلك كما قدمت تعود إلى أضاليل الغاية الاستعمارية التي استلهمت أيضاً العصبية الدينية ، وتكاتفتا معاً على إخفاء محاسن العرب ، وعلى إظهارهم شيئاً هو دون الشعوب . ويقيني لو أن موازناً منهم قارن بين شعب من الزنوج والعرب لشالت كفة العرب ولرجحت كفة الشعب الزنجي لأن هذا الشعب تم لهم استعماره وتحضيره وذلك لم يتم ولما يتم لهم منه شيء

أما أجري الذي أنشده من هذا التعريب فهو أمنيتي التي أرجو أني وصلت إليها في وضع لبنة واحدة في صرح المملكة العربية الحديثة وفي استجلاب كثيرين ممن ضلوا مجد أمتهم الغابر ليحثهم على بناء المجد الحاضر ، وما هنا إلا صفحة من صفحات هذا الفاتح الذي ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم منه ... فاقرأوا أيها العرب وانفذوا منها إلى بقايا صفحات تاريخكم المجيد

« تتلوه المقدمة » خليل هنداوي

مقالات اسماعيلية

لأستاذ جليل

— ٢ —

في معرفة العقل

ومنها حدثني الحسن الموصلي عن علي بن محمد نازل سَوْرة[١] والعباس بن محمد بن الحسين جميعاً عن محمد بن سنان الزاهدي قال: سألت لمولانا[٢] (علينا سلامه) عن أول صفات الأزل، فقال لي: العقل، فقلت: وما العقل يا مولاي؟ فقال: أنا. وما علمت أن بي يعقل العاقل، وبي ينظر الناظر، وبي يسمع السامع، وبي يبطش الباطش، وبي يتحرك الساكن، وبي يذاق الطيب، وبي يشم الروائح الطيبة، وبي يحس الحواس، وبي أفاضوا الناس؟ فقال له محمد بن سنان فكيف منزلتك من الباري الأزلي؟ فقال له كمنزلة العلم من العالم لم ينفصل منه ولا هو سواه. واعلم يا محمد، أن الأزل أطلع من ذاته نوراً لم يفصله منه، ولا غاب عنه، ثم سماه عقلا، وخاطبه به، فقال له: من أنا؟ أجابه أنت وأنا منك، فقال له أدْبِرْ يعني اظهر كالمنفصل مني، فظهر ثم قال له: أقبل يعني غب فيّ واتصل بي، فاتصل فقال له به وخاطبه منه: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً قبلك[٣] إلا أنا إذ أنا معدنك، ولا خلق أبداً أحب إلى منك، لأنك مني بدبت[٤]، وأنا بك ظهرت. منك نطقت، وبك أدعو، وأنت إشارتي ونودي في سمواتي وارضي، بك آخذ حقي من خلقي، وبك أجازى من عرفني وأقرّ بي، فأنت الواحد إذ لا مثيل لك، وأنا الأحد لأني متحد بك. لست حين اطلع بك حركاتي وغيبتك سكوني[٥] وأنا العلي الحميد والسلام

(١) سورة بفتح السين وسكون الواو موضع (معجم البلدان)

(٢) مولانا

(٣) في (الاحياء): (أول ما خلق الله العقل فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال الله وعزتي وجلالي ماخلقت خلقاً أكرم علي منك، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أثيب، وبك أعاقب) ونسب القول إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)

(٤) إن كانت محرفة فأصلها بدأت أو بدوت أي ظهرت

(٥) كذا هذه الجملة والتي قبلها

— ٣ —

فصل في معرفة الإنسان

قال الله (تعالى): « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » إعلم أن الإنسان هو النفس خلقت قبل الجسم زماناً طويلا، فلما ظهرت النفس بصورة الجسم ذكرت وعرفت حتى تعقل منه المعقولات أي تعرف أمام العصر والزمان؛ فإذا عرفت ارتقت إلى عالمها النوراني كما قال الله (عز وجل) « ثم ننجّي الذين اتقوا ونذرُ الظالمين فيها جِثيّاً » والجثو هو المعاد فيها. وإذا لم تعرف إمام العصر والزمان تتردد في عالم الكون والفساد على الأجساد ومحل الآلام حتى تعرف إمام زمانها وتدخل تحت طاعته؛ فإذا عرفت خلصت ونجت وارتقت، وإذا لم تعرف لاتزال تتردد حتى تعرف بعد المدد والدهور الطوال. قال بعض العارفين لولده: احرص يا بنيّ أن تخلّصها في هيكل واحد ولا في هيكل ثان والسلام

— ٤ —

(فصل) اعلم (يا أخي) ان النفوس المنكرة لا تزال تتردد في عالم الكون والفساد والنشوء والبلى حتى تعقل منه المعقولات أعني معرفة إمام العصر والزمان. والسلام على من اتبع الهدى، وخشي عواقب الهوى، وأطاع الملك الأعلى، وأمر بالتقوى، وكان من الفائزين، والسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

— ٥ —

(فصل) اعلم أن الجن ثلاث طبقات: الجن الغواصة، والجن الطيارة، والجن المَرَدَة. أما بعد فإنّ الجن الغواصة هم الحكماء الغواصون في العلوم الحقيقية، والجن الطيارة هم الحجج والدعاة الذين يطيرون في علومهم من مكان إلى مكان، والجن المردة فهم أهل الظاهر الرقبون[١] السمع[٢] المائدون للحق في كل عصر وزمان، فاعلم ذلك. قال عليّ (علينا سلامه): من عاند الحق هان، ومن تهاون في الدين أنهان[٣]. وقال أيضاً: من استغنى بعقله ضلّ، ومن عجب بعلمه زل، ومن استعان بغير الله ذل، والسلام

(١، ٢، ٣) كذا

— ٦ —

(فصــل) اعلم أن دعائم الإسلام سبع ، وعند أهل الظاهر خمس ، وهي الصوم والصلاة والحج والزكاة والجهاد في سبيل الله (تعالى) والولاية والإمامة ، أنكر أهل الظاهر الولاية والإمامة

قال النبي عليه الصلاة والسلام في حق عليّ يوم الغدير : (من كنت مولاه فعليّ مولاه . اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من نكره ، وأدرْ الحق معه حيث دار[1]) هذا في الولاية ؛ وقال النبي في الإمامة : (من مات ولم يعرف إمام زمانه معرفة جلية فقد مات ميتة جاهلية ، والجاهل كافر والكافر في النار[2]) والسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين

— ٧ —

(فصــل) النبي (صلعم) : (تسلمت من خمس وسلمت إلى خمس ، وبيني وبين ربي خمس) . (الجواب) : فالخمس الذي تسلم النبي منهم ، فهم بحيرا الراهب وميسرة وزيد بن عمرو وعمرو بن نفيل وخديجة بنت خويلد ؛ والخمس الذي سلم إليهم ، فهم الأساس ، والداعي ، والحجة ، والإمام ، والوصي ؛ والخمس الذين بينه وبين الله (عز وجل) فهم العقل ، والنفس ، والجد ، والفتح ، والخيال[3] ، وقوله : أنا وأهل بيتي خمس ، فهم محمد ، وعليّ والحسن ، والحسين وفاطمة ، عليهم السلام أجمعين ، والحمد لله رب العالمين

— ٨ —

(فصــل) اعلم يا أخي أن العقل نور إلـهي مشرق على ظهر العالم فيقبل كل شيء من الأشياء التي تحته تحيي قواه ، فلما[4]

---

(١) الذي في الترمذي وغيره (من كنت مولاه فعلي مولاه) وفي اسناده محمد بن جعفر المدائني . وفي النسائي وغيره (من كنت وليه فعلي وليـه) وفي كتب منها الصواعق المحرقة (من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، فأحب من أحبه ، وابغض من أبغضه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ، وادر الحق معه حيث دار) ولسنا اليوم في البحث عن صحة حديث أو ضعفه أو اختلاقه

(٢) حديث اسماعيلي

(٣) الجد ، والفتح والخيال ترجمها (جوارد) بهذه الألفاظ
La Matière première, L'Espace et le Temps

(٤) كان

الإنسان أقرب بنسبه إلى العقل قبل من الفيض أكثر من جميع الموجودات ، والنور هو العلم ، والعلم هو العقل الإنساني والسلام

— ٩ —

(فصــل) اعلم يا أخي أن جهنم هي البعد من الله ، وهي مركز الأرض ومحل الأجسام عالم الكون والفساد ؛ والجنة هي القرب من الله وهي عالم القدس ومحل النفوس والأنوار ، وعرضها كعرض السموات والأرض كما قال الله تعالى : « وجنة عرضها السموات والأرض اعدت للمتقين » والحمد لله رب العالمين[1]

---

(١) في (رسائل إخوان الصفاء) كتاب النحلة الاسماعيليـة : « إعلم وتيقن ولا تشك في أن جهنم هي عالم الكون والفساد الذي هو دون فلك القمر ، وأن الجنة هي عالم الأرواح وسعة السموات ، وأن أهل جهنم هي النفوس المتعلقة بأجساد الحيوانات التي تنالها الآلام والأوجاع دون سائر الموجودات التي في العالم ، وأن أهل الجنة هي النفوس الملكية التي في عالم الأفلاك وسعة السموات في روح وريحان البريئة من الأوجاع والآلام والدليل على ذلك قوله تعالى : (إنطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب) إشارة إلى النفوس المتحدة بالأجسام ذي الطول والعرض والعمق إلى دون فلك القمر »

حقيقة الإســـلام

للأستاذ خليل جمعة الطوال

« ... أنا لست مسلماً ولكن ذلك لا يمنعني من أن أقول في الإسلام الحق . ولقد دفعني إلى هذا ما شاع بيننا نحن المسيحيين — عن طريق المبشرين وانكشارية الدين المأجورين — من أن الإسلام دين كاذب قام على السيف

وأصارحك أني كنت على هذا الرأي حتى تنبهت إلى فضائل الإسلام عن طريق الرسالة الغراء ، ثم عن طريق القرآن الشريف . لذلك آليت على نفسي أن أعوض عن عدم إسلامي بنشر فضائل الإسلام بقلمي ولساني »

خليل جمعة الطوال

« الإسلام دين بربري قام بقوة السيف ... »

« فولتير والخصوم »

بهذه الحجة الواهية يتنال على الإسلام خصومه ليشوهوا جماله ، وينالوا من روحه الكبرى ، وينتقصوا من تعاليمه السامية. وبهذه الحجة أيضاً يتذرع أهل الجهالة والزيغ ، إذ يصمون صاحب الرسالة العربية بالكذب والشعر والكهانة ، ويدعون أنه مؤسس ديانة بربرية كاذبة ، تنافي مبادئها روح الحضارة ، وتقف تعاليمها حائلاً دون تقدم المدنية . ولو أنهم خلوا إلى أنفسهم ، ونفضوا عنها غبار التعصب ، ودرسوا تعاليم الإسلام ، وتدبروا آياته في هدأة من أغراضهم الذاتية ، لانجابت عن بصائرهم سدف الأرجاف ، ولانجلى عن قلوبهم خبث الصدور وصدأ الباطل

يزعمون أن الإسلام قام بقوة السيف ... ويتمسكون بهذا الزعم على أنه حقيقة واقعة لا غبار عليها . ولكن فاتهم أن القوة التي أعزت الإسلام في بدر ، والقادسية ، واليرموك ، والتي غزا بها المسلمون — على قلة عددهم وضعف عدتهم — وعتادهم العالم ، وأمعنوا في جهاته الأربع بالفتح والاستعمار ، حتى وسعت إمبراطوريتهم ثلثي الكرة الأرضية — لم تكن إلا قوة إيمانهم بعقيدتهم الجديدة ، عقيدة التوحيد بالله وعدم الشرك به ، تلك العقيدة السامية التي استمرأوا في سبيلها النكبات ، وتجشموا الأخطار والمصائب ، فما لانت قناتهم ، ولا خضدت شوكتهم ، ولا هانت قوتهم . ولئن قام الإسلام ببضعة أسياف ونفر من الرجال ، لقد قاومه أعداؤه المشركون بآلاف الصوارم ، وكتائب الأبطال . وما انتصاره عليهم إلا انتصار الحق على الباطل ، وما هزيمتهم أمامه إلا هزيمة القوة المادية أمام قوة الإيمان الروحية

تبارك الله !! رجل يقوم ضد أمة ، فكأنه بقوة إيمانه — وهي كل ذخيرته — أمة بأسرها . فيغلبها حيناً وتغالبه أحياناً ، ثم ينصر الله عبده ، ويعز كلمته ، فإذا القوم يسارعون فرادى وجماعات ليستظلوا تحت راية حقه ، وليسترشدوا بنوره ، ويهتدوا بهدايته ، وإذا محمد رسول الله ، ورجل الحق ، وعدو الكفر يقف فيهم خطيباً عند باب البيت ليعلن فيهم مبدأ الإخاء والحرية والمساواة ، فيقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج . يا معشر قريش ! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم ، وآدم خلق من تراب . يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم

تلك هي مبادئ الإسلام السامية التي اهتزت لها أصنام الوثنية وهيا كلها ، بل تلك هي عدة المسلمين التي فتحوا بها العالم والتي لم تغن عنها « يوم نور » جيوشهم اللجبة الجرارة وأسلحتهم الوفيرة المدمرة

بمثل هذه المبادئ قام الإسلام يرشد الناس بنور الهداية ، وحسن الموعظة ، ولم يلجأ إلى السيف إلا دفاعاً عن حوزته ، وإشفاقاً على رسالته ، من أن تصبح مضغة استخفاف يلوكها أهل الكفر والالحاد مدى العمر . وأي شريعة سماوية جديدة قامت ولم يؤيدها السيف في انتشارها ؟ أهي اليهودية وقد كانت تأمر برجم كل خارج على الناموس ؟ ... أم هي المسيحية وما زالت محاكم التفتيش بأقبائها المروعة المظلمة يتردد صداها في الآذان ، وترتعد من فظائعها الأبدان ؟ ولم نذهب بعيداً في الاستدلال والتاريخ مفعم بذكر الكثيرين من ضحايا المسيحية — أو قل على الأصح إنكشارية المسيحية — ومجازرها ؟ وحسبك

منها مجزرة القديس « سان برثلمو » التي قتل فيها (٢٥٠٠٠) نفس ، ومجزرة شارلمان بقبائل السكسون التي سالت فيها الدماء البريئة أنهاراً ؛ وما ارتكبته جيوش فيليب الثاني ملك أسبانيا وحامي ذمار الكاثوليكية في هولندا من الفظائع وضروب التمثيل التي تهتز لهولها الرواسي ، وتشيب لمنظرها النواصي . وما فعله الامبراطور فرديناند الثاني وهو من أسرة هبسبرج حين حاول أن يستأصل شأفة البروتستينتية في ألمانيا ، فأرسل إليها جيوشه اللجبة ، التي أخذت تعمل السيف في الرقاب والعباد ، والنهب في البلاد ؛ واختل الأمن ، فأبيحت الأعراض ، وأزهقت النفوس البريئة ، وخرب خمسة أسداس المدن والقرى الألمانية ، وتناقص عدد السكان فيها ، حتى صار أربعة ملايين بعد أن كان ثمانية عشر مليوناً

ولم نذهب بعيداً وفي الأمس تراجع البابا تلك الذكريات المؤلمة ، فيبكي وينتحب لها ، ولأن أهل رومية قد أقاموا « لبرونو الايطالي » الذي أحرقته محاكم التفتيش بالقار والقطران ، في حفل رائع من رجال الإكليروس ، تمثالاً عظيماً في المكان الذي أحرق فيه ضحية لتزمت العصر ، وكفارة عن حرية الفكر

ولم تكن البروتستنتية على حداثة عهدها لتختلف عن الكاثوليكية بشيء من حيث تفتيش الضمائر ومخبآت الصدور ، واضطهاد أبطال الحرية الفكرية بالسجن حيناً وبالحرق أحياناً ، فتلك النيران المخيفة التي التهمت جثة « سرفيتوس الاسباني » ما زال مشهدها ماثلاً أمام عيني كلفن وهو في جدثه ، وما تزال تلك الذكرى تنتاش جثته الهامدة ورمته البالية

لقد اضطهدت المسيحية على اختلاف مذاهبها خلقاً كثيراً من ذوي الحرية الفكرية على حين كان الإسلام على درجة بعيدة من التسامح ؛ ولنا من أبي العلاء المعري أكبر دليل على ذلك ، فقد شك هذا الفيلسوف العظيم في جميع الأديان ، واتهم بالكفر والالحاد ، ومع كل ذلك فقد عاش آمناً مطمئناً على حياته ، ولم ينله من الحكومات الإسلامية أدنى أذى مع أنه قد تمادى في كفره وشكه لدرجة تكفي للحكم عليه بالقتل والحرق

ومن الحق هنا أن نسجل أن جميع الديانات حتى الوثنية منها تأمر بالخير والاحسان وأن المسيحية لم تبح سفك الدماء واضطهاد الأبرياء ، ولكن ما العمل وقد اضطهدت هذه النفوس البريئة باسمها ؛ وذلك إرضاء للنفوس الدنيئة ، والأطماع السافلة !!

لقد قام الإسلام يدعو إلى التوحيد ، فأعطى أهل الكتاب الحرية التامة في إقامة شعائرهم الدينية ومعتقداتهم ، ولم يعمد إلى السيف في إخضاع المشركين وردهم إلى حظيرة الإيمان بالله إلا إذا أبوا أن يلبوا دعوة الله بالحجة البينة ، والموعظة الحسنة ، واختاروا الحرب

أفبعد هذا يزعمون أن الإسلام دين كاذب ؟ ! ليت شعري ، أية كذبة تماشي العصر ، وتساير الزمن ، وتعيش مع الدهر — بين الخصوم — أربعة عشر قرناً ، وتنطلي تمويهاتها على أربعمائة مليون من الناس ، وتظل عندهم طيلة هذه الأحقاب موضع الإجلال والإكبار ، تهز قلوبهم للرحمة وأكفهم للخير ؟

ألا إن الإسلام بريء مما نسب إليه ، فهو دين عربي صادق يدعو إلى توحيد الله دون أن يلجأ إلى التواء المنطق وغث التأويل . « ولئن فاتني حظي من النسب ، لن يفوتني حظي من المعرفة »

هذا هو الإسلام الذي قال فيه شاعر الألمان وأعظم عظمائهم « جايتي » : إذا كان ذلك هو الإسلام فكلنا إذاً مسلمون . نعم كل من كان فاضلاً شريف الخلق فهو مسلم

(شرق الأردن) **خليل جمعة الطوال**

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ١٤ —

« ... أتذكر إذ التقينا وليس بيننا شابكة ، فجلسنا مع الجالسين لم نقل شيئاً في أساليب الحديث ، غير أننا قلنا ما شئنا بالأسلوب الخاص بإثنين فيما بين قلبيهما ؟

« ... وشعرنا أول اللقاء بما لا يكون مثله إلا في التلاقي بعد فراق طويل ، كأن في كلينا قلباً ينتظر قلباً من زمن بعيد ؟

« ولم تكد العين تكتحل بالعين حتى أخذت كلتاهما أسلحتها ... وأثبت اللقاء بشذوذه أنه لقاء الحب ؟

« وقلت لي بعينيك : أنا ... وقلت لك بعيني : وأنا ... وتكاشفنا بأن تكاتمنا ؟

« وتعارفنا بأحزاننا كأن كلينا شكوى تهم أن تفيض بينهما ؟

« وجذبتني سمتك الفكرية النبيلة التي تضع الحزن في نفس من يراها فإذا هو إعجاب ؛ فإذا هو إكبار ؛ فإذا هو حب؟

« وعودت عيني من تلك الساعة كيف تنظران إليك ؟

« وجعلت أراك تشعر بما حولك شعوراً مضاعفاً كأن فيه زيادة لم تزد ؟

« وكان الجو جو قلبينا ...

« وتكاشفنا مرة ثانية بأن تكاتمنا مرة ثانية ... ؟ »

(هي)

« ... جئنا فإذا أصغر مكاناً للحب كأنما مر به سر الخلود فإذا الوقت فيه لا يشبه نقصاناً من العمر بل زيادة عليه ؛ وكانت يا حبيبتي كل دقيقة وثانيتها في مجلسك الساحر كأنها بعض الفكرة والحس لا بعض الزمان والمكان ...

« ... وكنت وما أشعر من سحرك إلا أني بإزاء سر وضعني في ساعة من غير الدنيا وحصرني فيك وحدك ...

« وهاجني من يقظتي واقتحمت علي من حذري ...

« وخلبتني وعينيك ، وخلبني وما كتب علي ...

« وانسحت روحي لتشملك ، فما كنت تتكلمين ولا تضحكين ولا تخطرين في غرفتك ولكن في داخل نفسي ..

« ... وكنا نتكلم ولكن ألفاظنا تتعانق أمامنا ويلثم بعضها بعضاً من حيث لا تراها إلا عيناي وعيناك

« وترامت النفسان فملأتا المكان بأفراح الفكر ، واستفاض السرور على جمالك بمعنى كلون الزهرة النضرة هو عطرها للنظر

« وقلت لي بجملتك : أنا .. وقلت لك بجملتي : وأنا .. »

(هو)

هي وهو ؟

إني لأعرفه عرفاني بنفسي ، فما بي شك فيما أكتب عن حبه ؛ ولقد خلطني بنفسه زمناً فأني لأسمع نجواه وأقرأ سره ، وأعرف ذات صوره ، فما أصف من حبه إلا مستيقناً كأنما أنقل عن لوح مسطور في فؤادي ، أو أثبت من حادثة في تاريخ أيامي ماثلة في نفسي بصورها وألوانها وحوادثها فما يغيب عني منها شيء . ولولا تقاليد الناس وآداب الجماعة لمزقت النقاب عن وجه الحديث وجلوته على القراء في بيان سافر كإشراق الضحى ، ولكن ... ولكنها هي ...

أما هي فما في يدي شيء من خبرها إلا ما حدثني به الرافعي أو حدثتني رسائله ، فما أتحدث عن حبها إلا راوية يكتب ما يسمع لا ما يشهد ، أو محققاً يضم كلمة إلى كلمة ، ويزاوج بين رسالة ورسالة ، ليخرج منهما معنى ليس في يده من حقيقته شيء إلا ما يهديه الفكر وصواب الرأي وملابسات الحادثة

وإنها لأديبة شاعرة يعرفها كثير من قراء العربية وأعرفها عرفانهم أو يزيد ، وحسبي هذا مقدمات إلى النتيجة ، وما يعسر على من يمسك طرف الخيط أن يصل إلى آخره ...

* * *

لقد التقيا وما بينهما شابكة ولا يربطهما سبب ؛ فما كانت إلا نظرة وجوابها حتى ارتبطا قلباً إلى قلب ؛ وكان الأدب رباط بينهما أول ما كان ؛ ثم استجرها الحديث إلى فنون من الكلام فكشفت له عن آلامها وكشف لها عن آلامه فكان عطف وإشفاق ؛ ثم تحدثت عن أحلامها وتحدث عن أحلامه ، فكان الحب ؛ ثم ... ثم كانت القطيعة حين بلغ الحب غايته ونال مناله من نفسها ومن نفسه ، فافترقا حين كان يجب أن يبدأ اللقاء ليتذوقا سعادة الحب ويقطفا من ثمراته ... وضرب الدهر من ضرباته فإذا هو تحت الرغام ، وإذا هي في المستشفى تتمرض من داء هيهات أن تجد له الدواء !

* * *

لم تكن (هي) تقصد الحب ولا تعمدته ولا كان هو ، ولكنها أديبة تعرف موازين الكلام ، لقيت الأديب الذي تعجب به ويفتنها بيانه ، فأحبته (عقلاً جميلا) كما تسميه في بعض رسائلها ...

* * *

وكان سميه إليها يلتمس الشعر والحكمة ، والشعر والحكمة هما رابطها إليه وفاتنها به ؛ فتصنعت له لتفتنه وتزيده شعراً وحكمة ، ثم تصنعت لتزيده ، ثم تصنعت لتزيده ، ثم تصنعت لتزيد هي به ؛ لأنها وجدت به نفسها ، ووجدت به الشعر والحكمة والبيان ؛ فأحبته (أستاذها ومرشدها) لأنه أوحى إليها ما عجز دونه الآخرون ، لأنه فجر لها ينبوع الشعر وعلمها البيان هكذا تقول في بعض رسائلها ...

* * *

وهي فتاة لم يسالمها الدهر ولم تزل منذ كانت — غرضاً لسهام الأيام ، تنوشها الآلام من كل جانب ، ولها نفس شاعرة تضاعف أحزانها فتجعل لها من كل همّ همين ، وإن حواليها لكثيراً من الأصدقاء يزدلفون إليها ويخطبون ودها ، ولكن ... ولكنها تريد الصديق الذي يستمع إلى شكواها من الأيام فتستريح إليه ، أكثر مما تريد الصديق الذي لا تسمع منه إلا كلمات الزلفى والتحبّب واصطناع الهوى والغرام ... وتحدث إليها الرافعي وتحدثت إليه ، وقصت عليه من أحزانها فاخضلّت عيناه وأطرق فوضعت يدها على يده وهي تقول :

« سأدعوك أبي وأمي متهيبة فيك سطوة الكبير وتأثير الآمر ، وسأدعوك قومي وعشيرتي ، أنا التي أعلم أن هؤلاء ليسوا دواماً بالمحبين ؛ وسأدعوك أخي وصديقي ، أنا التي لا أخ لي ولا صديق ؛ وسأطلعك على ضعفي واحتياجي إلى المعونة ، أنا التي تخيّل فيّ قوة الأبطال ومناعة الصناديد !

« وسأبين لك افتقاري إلى العطف والحنان ، ثم أبكي أمامك وأنت لا تدري ... ! »

وأحبته (صديقاً) تفزع إليه إذا ضاقت بآلامها وحزبتها الهموم ...

* * *

وهي الفتاة التي لم تعرف في حياتها إلا التجهم والعبوس ، ولم تعرف من دنياها إلا الجد الصارم ؛ وما كان لها من عمل غير الاستغراق في الفكر ، أو الاستغراق في الفن ؛ وإنها لأنثى وإن كانت فيلسوفة شاعرة ...

والرافعي رجل — كان — لا يحمل من هم ، فما يدع النكتة ولا يترك المزاح والدعابة وإن الدنيا تصطرع حواليه ، وإن كان القضاء منه بمرصد يراه ويتوقعه ؛ وإنه ليهزل في أجدّ الجد وأحرج الساعات هزله في أصفى حالاته وأسعد أيامه ؛ فما يجالسه ذو هم إلا سُرّي عنه كأنما يمسح قلبه فيمحو أحزانه ...

وتحدث إليها وتحدثت إليه ، فأحبته (الرفيق الأنيس) الذي تسيطر عليها روحه فينتزعها من دنياها العابسة إلى دنياه ..

* * *

واستمعت إلى صوته يتحدث ، فكان له في نفسها رنين ؛ ونظرت إلى سحنته الفكرية النبيلة فرأت فيها مرآة نفس صافية لا تعرف الخداع والتزوير ؛ ولحته يبتسم ، فجذبتها إليه ابتسامة لم تجد مثلها إلا زيفاً على شفاه الرجال ؛ ونظر إليها ونظرت إليه ، وقال وقالت ، وتحدث قلب إلى قلب ، وتناجيا في صمت ؛ وتركها وهي في نفسه ، ومضى وهو في مجلسها ؛ وأحست في نفسها إحساساً ليس لها به عهد ؛ فتناولت قلمها لتكتب إليه :

« ... سأستعيد ذكرك متكئاً في خلوتي لأسمع منك حكاية غمومك وأطماعك وآمالك ، حكاية البشر المتجمعة في فرد واحد ؛ وسأتسمع إلى جميع الأصوات علّي أعثر فيها على لهجة صوتك ، وأشرّح جميع الأفكار وأمتدح الصائب من الآراء ليتعاظم تقديري لآرائك وأفكارك ... وسأبتسم في المرآة ابتسامتك

« في حضورك سأتحول عنك إلى نفسي لأفكر فيك ، وفي غيابك سأتحول عن الآخرين إليك لأفكر فيك ...

« سأتخيل ألف ألف مرة كيف أنت تطرب ، وكيف تشتاق ، وكيف تحزن ، وكيف تتغلب على عاديّ الانفعال برزانة وشهامة لتستسلم ببسالة وحرارة إلى الانفعال النبيل ...

« وفي أعماق نفسي يتصاعد الشكر لك بخوراً ، لأنك أوحيت إليّ ما عجز دونه الآخرون . أتعلم ذلك ، أنت الذي لا تعلم؟ أتعلم ذلك ، أنت الذي لا أريد أن تعلم ... ! »

وكان حبها إعجاباً بالعقل الجميل ، ثم تقديراً لأستاذها الذي فجر لها ينبوع الشعر والبيان ، ثم إجلالا للصديق الذي وجدت مفزعها إليه ، ثم انعطافاً إلى الرفيق الأنيس الذي كشف لها عن أفراح الحياة ، ثم ... ثم حباً يستأثر بنفسها ويسيطر عليها في غيبه ومشهده فما لها عمل إلا أن تفكر فيه ...

وأضلها الهوى وأضله ؛ وخيل إليها أنها تستطيع أن تكون

أرفعَ محلاً لو أنها منحته بعض ما تمنحه ، وخيل إليه أنه يستطيع وقالت له : « أنا لا أشفق على آلامك ؛ وهل ترانى أكره لك النبوغ والعبقرية ؟ » وقالت له كبرياؤه وغيرته وظنونه غير ما قالت صاحبته ؛ ومضى كل منهما إلى طريق والقلب يتلفت ؛ وما عرفت إلا من بعـد أنه يحبها حباً لا يطيق أن يتسع أكثر مما تتسع له نفس إنسان ؛ وما عرف إلا من بعد أنها كانت تجانبه لتطلب إليه أن يكون فى الحب أجرأ مما كان ...

وعرف وعرفت ، ولكن العقدة لم تجد من يحلها وبينهما فلسفة الفيلسوف وكبرياء المتكبر ؛ وظلّ وظلت وبينهما البعد البعيد على هوى وحنين ... حتى جاء الموت فحل العقدة التى استعصت على الأحياء ... !

* * *

إن كثيراً ممن يعرفونها ويعرفونه ليدهشون إذ يقرءون قصة هذا الحب ، وسيتناولونها بالريبة والشك ؛ وسيقول قائل ، وسيدعى مدع ، وسيحاول محاول أن يفلسف ويعلّل ؛ ولا علىّ من كل أولئك ما دمت أقص القصة التى أعرفها وأستيقنها ، والتى كان لها فى حياة الرافعى الأدبية تأثير يُردّ إليه أكثر أدبه من بعد ، وحسبه أنه كان الوحى الذى استمد منه الرافعى فلسفة الحب والجمال فى كتبه الثلاثة : رسائل الأحزان ، والسحاب الأحمر ، وأوراق الورد ، وحسبي أننى قدمت الوسيلة لمن يريد أن يدرس هذه الكتب الثلاثة على أسلوب من العلم جديد

(شبرا) محمد سعيد العريان

إلى الصديق الذى كتب إلى يسألنى أن أنشر له وللقراء رسالة مما كان بين الرافعى وصاحبته : أن يقرأ رسالتها فى أوراق الورد ص ١٤٤ — ١٥٠ فلعله يرى فيها لوناً من رسائلها إليه ، وحسبه الآن هذه الرسالة ، وإنها لَبسبب من موضوع هذا المقال

أبو الفرج الببغاء

للأستاذ عبد العظيم على قناوى

— ٤ —

أهلّ أبو الفرج الببغاء فى أعقاب عصر ، وفى طلائع عصر آخر ؛ أما العصر الأول فكانت الكتابة فيه جزلة مرسلة ، تسير ذللاً لا أمت فيها ولا عوج ، وترسل طبيعية لا تعمل فيها ولا تكلف ، لا يلتفت الكاتب إلى غير المعنى الواضح الناصع فى اللفظ المحكم والنسج المبرم ؛ فقد كانت الأمة حينئذ — أواخر دولة بنى أميـة وأوائل دولة بنى العباس — لا يزال بها رسيس من بداوة ، وكتابها لا يفتأون ناهجين فى أساليبهم نهج العروبة الخالصة ، لم تشبها كدرة العجمة . ومن كان منهم أعجمى التفكير فإنه عربى قح فى التعبير ، ومن أريدت له من أبناء العجم — وما أكثرهم — المنزلة الرفيعة والحظوة المكينة لدى رجالات عصره وسراة دولته ، فأداته الأولى حذق العربية والتبحر فيها ، وممارسة الأدب والبراعة فيـه ، والاحتفال له ، واتخاذ صناعة الكتابة وسيلة زلفاه ، وسبب علياه ؛ والمشرع الذى يشرعه لا يحلّئه عنه أحد ، ولا يذوده دون وروده ذائد ؛ هو شدو اللغة بين بدوها ، ينهل من قطرها ونبعها . ولقد كان أرباب السلطان يهيبون بمن يتخيلون فيهم مخايل الفطنة والموهبة والذكاء والنبوغ أو يتوسمون منهم فوقاً وحذقاً وبراعة ونبلاً ؛ يهيبون بهم أن يهبطوا أول أمرهم فى البادية تشرق فيها قرائحهم عن أفكار صافية ، وتجرى ألسنتهم على الألفاظ السليمة الخالصـة ، ثم يعوجوا إلى رهط الحضر يعبُّون من أخيلته السامية ، وينهلون من معارفه الزاخرة ، ولم تكن الفارسية قد زحمت العربية إلا بقـدر ، والعجمة لا تزال محدودة البيئة والوطن ؛ لأن كلتا الدولتين الغاربة والشارقة ، أو الأموية والعباسية إبان ذلك تبتغى مأرباً واحداً ؛ فالأولى تريد لعرشها نهوضاً ولملكها رسوخاً ، على ظبات الرماح وعلى أسلات اليراع ؛ والأخرى تطلب لنجمها الصاعد سطوعاً وتبنى ملكاً ثابت الأساس ، فرجالها فى حاجة إلى من يملك أسماع جمهور العامة بفصاحتـه الصّافية ، ويخلب ألباب قارئيه من الخاصة ببلاغته الصافية ؛

وما حديث عبد الحميد الكاتب إلا شاهد ما نقول من أن دولة الكتابة كانت — ولا تزال — عماداً قوياً لدولة السياسة

قام أبو مسلم الخراسانى بالدعوة العلوية أو العباسية وظهر فى كثير من الأقاليم، وذاع أمره واستشرى خطبه، فأراد عبد الحميد أن يحاربه بكتبه لا بكتائبه، وأن يأسره بلسانه لا بسنانه، فكتب إليه على لسان مولاه مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية كتاباً يستصفيه وده ويستخلصه إليه، وقال لمولاه: قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره؛ فإن يك ذلك وإلا فالهلاك. ولكن أبا مسلم داهية الفرس ودهقانها وقائد خراسان ومحنكها لم يكن بالغر يلعب بعقله الأدب، وتشغله عن واجبه الكتب، فلم يعبأ بالكتاب ولابالاه، بل أمر بإحراقه وتركه تذروه الرياح، وكتب على قطعة منه إلى مروان:

محا السيف أسطار البلاغة وانتحى
عليك ليوث الغاب من كل جانب

فى أعقاب عصر عبد الحميد وابن المقفع وأضرابهما وفى طلائع العصر الثانى الذى تحول فيه حال الكتابة وتبدل أمرها؛ إذ طغى العجم على العرب واستهتر الكتاب بالمجون والخلاعة، وصيروا الكتابة أداة من أدوات اللهو، وسبباً من أسباب الدعة، وجعلوا لها من الأغراض ما للشعر وزيادة، أهلَّ أبو الفرج، وعلى لوائها أبو الفضل بن العميد، وقد فُتن ومن لاحقه باللفظ المبهرج والأسلوب المزخرف، فالعبارات موشحة مرصعة، والفقرات مجنسة مطبقة، وأنواع البديع فى الكتابة كزهر الربيع إلا أنها لا تجىء عفو الخاطر أو ربيبة القريحة كما كانت قبلا، بل تأتى بكد ذهن وعصر مخ وإعمال فكر؛ أما المعنى فكانت له لدى كتاب هذا العصر المنزلة الدنيا، فالأفكار ضيقة، والأخيلة محصورة محدودة؛ لذلك سرى فى الكتابة روح غير روحها الأول، وسار الكتاب وئيداً إلى غير النهج الأمثل. على أن ابن العميد ولداته ومنهم أبو الفرج لم يغلوا غلواً ممقوتاً، ولا تطرفوا تطرفاً ممجوجاً، فعل من أتى بعدهم ممن سار على دربهم، فلم يصلوا إلى ما وصل إليه أسلافهم، فقد كانت أخيلة ابن العميد فارسية فى حلة عربية، وألفاظه زائنات معانيه، ومعانيه درر كشفت عنها ألفاظه. ولقد ضرب به المثل فقيل: (بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) وكأنى بصاحب هذا المثل يريد أن يكسف شموساً أشرقت من بعده وفى عهده، وأن يخسف بدوراً سطعت على كتبه لا فضل له عليهم إلا أن الدنيا لم تسر فى ركابهم، والملك لم يقف على بابهم. وهذا أبو الفرج سرى على ضوئه وارتشف من نبعه حتى روى؛ وسار فى عدوائه وضرب، حتى بلغ غاية المتأمل، ووصل إلى مرتبة المتفضل. وسأعرض قطعة من غرر نثر ابن العميد ترسل إلينا قبساً من سناه، وتكشف لنا عن سمو نثره وعلاه، ثم أقدم بين يدى القارئ الكريم أخريات لأبى الفرج، وأترك الحكم للحاذق الفهم. ولا أظن أن البيغاء قصر كثيراً عن رئيس الكتاب سوى أن الدنيا أقبلت على الرئيس ابن العميد فمنحته محاسن غيره، وسلبت غيره محاسنه وأولته مثالب ومساوئ

كتب ابن العميد إلى أبى العلاء السروى وهو من أصفى خلصائه فالكتابة إليه فى نهاية الجودة كما يقول الثعالبى (لصدوره عن صدر مائل إليه محب له مناسب بالأدب إياه) كتب إليه يشكو شهر رمضان وهو من الأغراض التى لم يحاك فيها سابقاً قال:

« كتابى — جعلنى الله فداك — وأنا فى كد وتعب منذ فارقت شعبان، وفى جهد ونصب من شهر رمضان، وفى العذاب الأدنى — دون العذاب الأكبر — من ألم الجوع ووقع الصوم، ومرتهن بتضاعف حرور لو أن اللحم يصلى ببعضها غريضاً أتى أصحابه وهو منضج، وممتحن بهواجر يكاد أوارها يذيب دماغ الضب، ويصرف وجه الحرباء عن التحنق، ويزويه عن التبصر يقبض يده عن إمساك ساق، وإرسال ساق:

ويترك الجاب فى شغل عن الحقب ويقدح النار بين الجلد والعصب

ويغادر الوحش وقد مالت هواديها
سجوداً لدى الأرطى كأن رءوسها
علاها صداع أو فواق يصورها

ومنها:

« وممنو بأيام تحاكى ظل الرمح طولاً، وليال كإبهام القطاة قصراً، ونوم كلا ولا قلة، وكخسو الطائر من ماء الثماد دقة، وكتصفيقة الطائر المستحر خفة . .

كما أرقت قوماً عطاشاً غمامة فلما رجوها اقشعت وتجلت

(و) —

كنقر العصافير وهى خائفة   من النواطير يانع الرطب »

وهي طويلة وفيما قدمنا منها غنية عما تركنا . وقد جلت لنا طريقته فى الكتابة التى سلكها من عاصره ومن تابعه . ونعرض صوراً متنوعة من كتابة أبى الفرج علنا نؤدى واجبه كاملا دون تحيف أو تزيد

هنأ ممدوحه سيف الدولة بظفره فى إحدى وقائعه فقال من كتاب طويل :

والشجاعة أقل أدواته ، والبلاغة أصغر صفاته ، تطرق الدنيا إذا نطق ، وينطق المجد إذا افتخر ، فالآمال موقوفة عليه ، والثناء أجمع مصروف إليه ، نهض بما قعدت همم الملوك عن ثقله ، وضعف الدهر عن معاناة مثله ، بهمم سيفية ، وعزائم علوية ، فرد شمل الدين جديداً ، وذميم الأيام حميداً ، بحق أوضحه ، وخلل أصلحه ، وهدى أعاده ، وضلال أباده

فلا انتزع الله الهدى عز بأسه   ولا انتزع الله الوغى عز نصره
وأحسن عن حفظ النبي وآله   ورعى سوام الدين توفير شكره
فما تدرك المداح أدنى حقوقه   بإغراق منظوم الكلام ونثره

لأن أدنى نعمة تستغرق جميع الشكر ، وأيسر منة تفوت المبالغة فى جميل الذكر ، فأما هذا الفتح الشريف خطره ، الجيد أثره ، المشهور بلاؤه ، الواجب ثناؤه ، الباسق فرعه ، العام نفعه ، فأشرف من أن يحد بالصفات ، أو يعد بأفصح العبارات »

وله من أخرى فيه أيضاً :

« شهاب ذكاء ، وطود وفاء ، وكعبة فضل ، وغمامة بذل ، وحسام حق : ولسان صدق ، فالليالى بأفعاله مشرقة ، والأقدار لخوفه مطرقة ، تحمده أولياؤه ، وتشهد له بالفضل أعداؤه

يقابلنا البدر من برده   ويشملنا السعد من سعده
ولو نخر المجد لم تلقه   فخوراً بشيء سوى مجده »

ولما مات سيف الدولة ولى نعمته كتب إلى عدة الدولة يذكر له رغبته فى خدمته وأن يطوى باقى أيام حياته تحت رحمته قال :

« ومن أبرز لسيدنا صفحة رجائه ، ووفق للانقطاع إلى سعة نعمائه ، فقد استظهر لما بقى من عمره ، وحكم لنفسه بالفوز على دهره

فما يقدح الفقر فى حاله   ولا يطمع الدهر فى قصده
وكيف وقد صار ضيف الهما   م وهو قريب على بعده
ومن علقت بأبى تغلب   يداه احتذى البدر من سمده
همام قضى الله من عرشه   له بالإمارة فى مهده
فطود السيادة فى دسته   وشمس الرياسة فى برده ».

وقد أجاب الأمير مسألته ، وأناله مالكته ، فكتب إليه من رسالة طويلة :

« أفصح دلائل الإقبال ، وأصدق براهين السعادة — أطال الله بقاء سيدنا — ما شهدت العقول بصحته ، ونطقت البصائر بحقيقته ، ونعمة الله تعالى على الدين والدنيا بما أولاهما من اختيار سيدنا لحراستهما بناظر فضله ، وسترهما بظل عدله ، مفصحة بتكامل الإقبال ، مبشرة بتصديق الآمال »

وفيها :

« للصدق كلامه ، وللعدل أحكامه ، وللوفاء ذمامه ، وللحسام عتاؤه ، وللقدر مضاؤه ، وللسحاب عطاؤه :

دعوته فأجابتنى مكارمه   ولو دعوت سوى نعماه لم تجب
وجدته الغيث مشفوعاً بعادته   والروض يجنى بما فى عادة السحب
لو فاته النسب الوضاح كان له   من فضله نسب يغنى عن النسب
إذا دعته ملوك الأرض سيدها   طراً دعته المعالى سيد العرب»

هذه فقر مشرقة الديباجة مزهرة الرقعة ، انتظمت الحسن كله ، وضمنت الجمال جميعه ، فهى على — حد تعبيرنا الحديث — الشعر المنثور ، أو النثر المنظوم ، والدر المنضود ، أو السحر المرسوم أوحى به عقل أبى الفرج ، وجرى به خاطره ، فسجله الزمان فى كتبه ؛ وما استعرضناه من نثره يبيح لنا أن نقول :

إنه كان مغرماً بالسجع القصير الفقر الموشى الحبر ، فالجناس يزينه ، والطباق يجمله ، هذا إلى الاستشهاد بالأمثال السائرة والأبيات الشاردة

وإنى أرجو أن أكون قد وفيت ما إليه قصدت من تفصيل حياة رجل غمر عمره التاريخ وطواه . فإن أكن قد بلغت فللرسالة أكبر الفضل ، وإلا فعلى رمضان بعض العتب ، وما توفيقى إلا بالله قصرت أو أوفيت

عبد العظيم على قناوى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٠١ — الصوم في الليل

في (السراح في المزاح) شكى[1] عيينة بن حصن إلى نعمان صعوبة الصيام، فقال له: صم الليل. فروى أن عيينة دخل على عثمان وهو يفطر في شهر رمضان، فقال: العشاء

فقال: أنا صائم

فقال عثمان: الصوم في الليل ؟!

فقال: هو أخف عليّ

فيقال: إن عثمان قال: إحدى هنات[2] نعمان ...

٣٠٢ — ولا متاع أكل طعام

ابن قتيبة: قدم اعرابي على ابن عم له بالحضر فأدركه شهر رمضان، فقيل له: أبا عمرو، لقد أتاك شهر رمضان. قال: وما شهر رمضان ؟ قالوا: الامساك عن الطعام. قال: أبالليل أم بالنهار ؟ قالوا: لا، بل بالنهار. قال: فان لم أصم فعلوا ماذا ؟ قالوا: تضرب وتحبس. فصام أياماً فلم يصبر، فارتحل عنهم وجعل يقول:

يقول بنو عمي وقد زرت مصرهم:

تهيأ (أبا عمرو) لشهر صيام

فقلت لهم: هاتوا جرابي ومزودي

سلام عليكم، فاذهبوا بسلام[3]

وبادرت أرضاً ليس فيها مسيطر عليّ ولا منّاع أكل طعام[4]

٣٠٣ — أعمد لصومك واتركني وإفطاري

قال بعضهم: مررت بأعرابي يأكل في شهر رمضان، فقلت له: ألا تصوم يا أعرابي ؟ فقال:

(١) شكيت لغة في شكوت

(٢) هنات: فعلات، جمع هنة

(٣) المزود: وعاء يجعل فيه الزاد

(٤) بادر الشيء وبادر إليه: أسرع

وصائم هبّ يلحاني فقلت له:

اعمد لصومك واتركني وإفطاري[1]

واظمأ فإني سأروى ثم سوف ترى

من ذا يصير إذا متنا إلى النار ؟

٣٠٤ — أنا مثلك ...

وجد يهودي مسلماً يأكل شواء في نهار من شهر رمضان[2] فطلب أن يطعمه، فقال له المسلم: ياهذا إن ذبيحتنا لا تحل لليهود. فقال: أنا في اليهود مثلك في المسلمين ...

٣٠٥ — فتوى

قال الربيع بن سليمان: كنت عند الشافعي فجاءه رجل برقعة فقرأها ووقع فيها، فمضى الرجل وتبعته إلى باب المسجد فقلت: والله لا تفوتني فتيا الشافعي، فأخذت الرقعة من يده فإذا فيها:

سل المفتي المكي هل في تزاور وضمة مشتاق الفؤاد جناح

فوجدت الشافعي قد وقع:

فقلت: معاذ الله أن يذهب التقى تلاصق أكباد بهن جراح

قال الربيع: فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا. فقلت: يا أبا عبد الله، تفتي بمثل هذا لمثل هذا الشاب ؟ فقال لي: يا أبا محمد، هذا رجل هاشمي قد بنى على أهله في هذا الشهر — يعني شهر رمضان — وهو حدث السن، فسأل هل عليه جناح أن يقبّل أو يضم ـ وهو صائم ـ فأفتيته بهذا

قال الربيع: فتتبعت الشاب فسألته عن حاله فذكر لي مثل ما قال الشافعي، فما رأيت فراسة أحسن منها

٣٠٦ — مشابه بين قرى وبين رجال

في (المحاسن والمساوي) للبيهقي: نظر المأمون يوماً إلى ابنه

(١) هب يفعل كذا: طفق، أخذ، شرع. في (التاج): من المجاز لحيت فلاناً ألحاه لحيا إذا لمته فهو لاح وذاك ملحى كرمى. قال الكسائي: لحيت الرجل من اللوم بالياء لاغير، ولحيت العود ولحوت بالياء والواو

قيل لبعضهم: أي وقت تحب أن تموت ؟ قال: إن كان ولابد فأول يوم من رمضان. ولبعضهم:

وتأمرني بالصوم لادر درها وفي القبر صوم ـ يا أميم ـ طويل

(٢) الأزهري: العرب تذكر الشهور كلها مجردة الا شهر ربيع وشهر رمضان (اللسان) وجمع رمضان: شهور رمضان ورمضانات، والمحرم: المحرمات، صفر: أصفار، شهر ربيع: شهور ربيع، رجب أرجاب، وجماديات، وشعبانات، وشوالات شواويل، وذوات القعدة، وذوات الحجة (أدب الكتاب لابن قتيبة)

العباس وأخيه المعتصم فابنه العباس يتخذ المصانع(1) ويبني الضياع والمعتصم يتخذ الرجال فقال:

يبني الرجال، وغيرُه يبني القرى
شتّانَ بين قُرى وبين رجالِ (2)

٣٠٧ — أنظر كيف شئت

قال ابن سعيد المغربي: كان بنو حمود من ولد إدريس العلوي الذين توثبوا على الخلافة في أثناء الدولة المروانية بالأندلس يتعاظمون ويأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بني العباس؛ وكانوا إذا حضرهم منشد لمدح أو من يحتاج إلى الكلام بين أيديهم يتكلم من وراء حجاب. والحاجب واقف عند الستر يجاوب بما يقول له الخليفة. ولما حضر عبد الرحمن بن مقانا القنداق الأشبوني وأنشد إدريس بن يحيى الملقب بالعالي قصيدته النونية:

ألبرقٍ لائحٍ من أندرين ... ذرفت عيناك بالماء المعين(3)
لعبت أسيافه عارية ... كمخاريق بأيدي اللاعبين
ولصوت الرعد زجر وحنين ... ولقلبي زفرات وأنين
وأناجي في الدجى عاذلتي ... ويك لا أسمع قول العاذلين
عيّرتني بسقام وضنى ... إن هذين لدين العاشقين(4)
قد بدا لي وضح الصبح المبين ... فاسقنيها قبل تكبير الأذين(5)
أسقنيها مُزّة مشمولة ... لبثت في دنها بضع سنين(6)
مع فتيان كرام نجب ... يتهادون رياحين المجون
شربوا الراح على خد رشا ... نوّر الورد به والياسمين

فلما بلغ إلى هذا البيت:

أنظرونا نقتبس من نوركم ... إنه من نور رب العالمين!

رفع الخليفة الستر بنفسه وقال: أنظر كيف شئت. وانبسط مع الشاعر، وأمر له بإحسان. فكان هذا من أنبل ما يحكى عنه

٣٠٨ — الحمرة التي تعلو وجهها من الحياء

في (الظرائف واللطائف) للمقدسي: قيل لبنت أرسطاطاليس: ما أحسنُ ما في المرأة؟

قالت: الحمرة التي تعلو وجهها من الحياء

٣٠٩ — المقابلة

في (خزانة ابن حجة): المقابلة من أنواع البديع وهي التنظير بين شيئين فأكثر، وبين ما يخالف وما يوافق(1). ومن معجزات هذا الباب قوله تعالى: (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه، ولتبتغوا من فضله) ولأبي الطيب في مقابلة خمسة بخمسة:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي ... وأنثني وبياض الصبح يغري بي

وأخبرني مولانا قاضي القضاة الشافعي نور الدين الحاكم بحماة المحروسة المشهور بخطيب الدهشة أنه كان بحماة يهودي يطوف بالحناء والصابون على رأسه ويقول: معي حناء أخضر جديد، وصابون يابس عتيق

٣١٠ — مضطر

قال أبو سعيد السيرافي: رأيت متكلماً ببغداد بلغ به نقصه في العربية أنه قال في مجلس مشهور: إن العبد مضطَرٌ(2) بفتح الطاء، والله مضطِرٌ بكسرها. وزعم أن من قال: مضطر عبده إلى كذا بالفتح — كافر. فانظر أين بلغ به جهله، وإلى أي رذيلة أداه نقصه

(1) المقابلة أعم من المطابقة، المطابقة لا تكون إلا بالأضداد والمقابلة بالأضداد وغير الأضداد (الخزانة)

(2) إسما الفاعل والمفعول في مثل (مضطر) المدغم و (معتاد) المعتل يظهران في صورة واحدة

(1) المصانع: الأبنية، القصور. والعرب تسمى القرية والقصر مصنعة ويقولون هو من أهل المصانع يعنون القرى والحضر

(2) يقال: شتان هما، وشتان ما بينهما، وشتان بينهما. وذكر (الزهر) شتان ما بينهما في المولد. وفي (اللسان) أبى الأصمعي: شتان ما بينهما. وفي (الاقتضاب): قد أنكر الأصمعي أشياء كثيرة كلها صحيح. و (بين) تكرر مع المظهر كما تكرر مع المضمر، وذلك في كلام الجاهليين والاسلاميين أكثر من الكثير. وقد خطأ الحريري في (الدرة) التكرير وذكر الخفاجي في (شرحها) جوازه

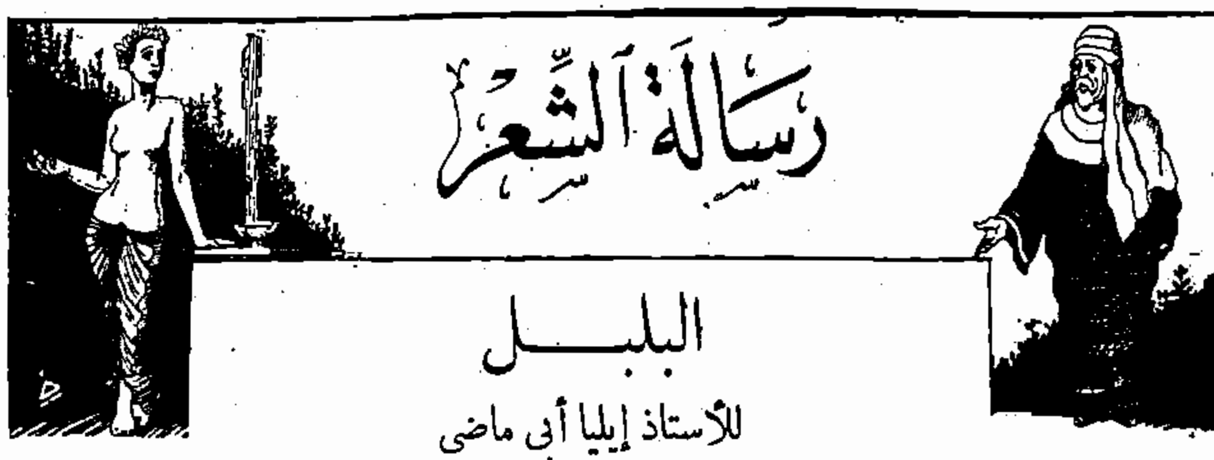
(3) أندرين: اسم قرية (كانت) في جنوبي حلب بينهما مسير يوم للراكب (ياقوت) ومن سلطان الألفاظ الشعرية حنين أندلسيين إلى أندرين في شعرهم.

(4) عيره كذا وبكذا قال عدي

أيها الشامت المعير بالدهر أأنت المبرأ الموفور؟

(5) الأذين: المؤذن، الآذان

(6) المزة والمزاء (بضم الميم) الخمر التي تلذع اللسان وليست بالحامضة (اللسان) خمر مشمولة: طيبة الطعم (الأساس)



البلبل

للأستاذ إيليا أبى ماضى

يا أيها الشادى المغرد فى الضحى   أهواك إن تنشد وإن لم تنشد
الفن فيك سجية لا صنعة   والحب عندك كالطبيعة سرمدى
فإذا سكت فأنت لحن طائر   وإذا نطقت فأنت غير مقلد
لله درك شاعراً لا ينتهى   من جيد إلا صبا للأجود
مرح الأزاهر فى غنائك والشذا   وطلاقة الغدران والفجر الندى
وكأن زورك فيه ألف كنجة   وكأن صدرك فيه ألف مردد

* * *

كم زهرة فى السفح خادرة المنى   سكنت على يأس سكون الجلمد
غنيتها فاستيقظت ، وترنحت   وتألقت كالكوكب المتوقد
وجرى الهوى فيها وشاع بشاشة   من لم يحب فإنه لم يولد
وكأننى بك حين تهتف قائلاً   للزهر : إن الحسن غير مخلد
فاستنفدى فى الحب أيام الصبا   واسترشديه فهو أصدق مرشد
واستشهدى فيه ، فمن سخر القضا   ألا تذوقيه ... وأن تستشهدى !

* * *

يا فيلسوفاً قد تلاقى عنده   طرب الخلى وحرقة المتوجد
رفع الربيع لك الأرائك فى الربى   وكسا حواشيها برود زبرجد
أنت المليك له الضياء مقاصر   وتعيش عيش الناسك المتزهد
مستوفزاً فوق الثرى ، متنقلا   فى الدوح من غصن لغصن أملد
متزوداً من كل حسن لمحة   شأن المحب الثائر المتمرد
وإذا ظفرت بنغمة وبقطرة   فلقد ظفرت بروضة وبمورد
تشدو وتبهت حائراً ، متردداً   حتى كأنك حين تعطى ، تجتدى
وتمد صوتك فى الفضا متلهفاً   فى ذلة المسترحم المستنجد
فكأنما لك موطن ضيعته   خلف الكواكب فى الزمان الأبعد
طوردت عنه إلى الحضيض فلم تزل   متلفتاً كالخائف المتشرد
يبدو لعينك فى العقيق خياله   وتراه فى ورق الغصون الميد
صوراً معددة لغير حقيقة   كالآل لاح لمعطش فى فدفد
فتهم أن تدنو إليه وتنثنى   حتى كأنك خائف أن تهتدى !
وكأنه حلم يصح مع الكرى   فإذا انتبهت من الكرى يتبدد
كم ذا تفتش فى السفوح وفى الذرى   عنقاء أقرب منه للمتصيد

* * *

يا أيها الشادى المغرد فى الضحى   أهواك إن تنشد ، وإن لم تنشد
طوباك إنك لا تفكر فى غد   بدء الكآبة أن تفكر فى غد
إن كنت قد ضيعت إلفك إننى   أبكى على إلفى الذى لم يوجد !

إيليا أبو ماضى

وحي جــديد (١)
للأستاذ سيد قطب

في خفقة الطيرِ — في نضرة الزهرِ
لاقيتُها عرَضا — بسّـامةَ الثغر
فتّانةً تُغرى — بالسحر والطهر
تهفو فتحسبُها — لحناً هفا يسرى
في لَفْتةِ الجيـدِ — في خفقةِ الصـدر
«تقسيم» موسيقى — منغومةِ(٢) النـبْرِ

* * *

يا بسمةَ الفجـرِ — يا نفحـةَ العطْرِ
أسكرتِ وجداني — من لونك الخمري
ألهبتِ إحساسي — بالشـوق كالجمر
وهمستِ في قلبي — وهتفتِ في صدري
وبعثتِني أشـدو — للحبِّ بالشـعر
وكأنني روح — تقفو خُطا سحر
مفتـونة ترنو — للكونِ في سُكْر
والكونُ يشملها — بالأنس والبشر

* * *

عَجبي لما ألقى — من لغزكِ السحرى!
وحيٌ يوسوس لي — في السر والجهر
حوّلتِ عمرىَ من — شطرٍ إلى شـطر
حبّبتِني، عجبا! — في عيشةِ الوكر
قد كنتُ أرهبها — كالنّاب والظُّفْر!
وإخالها شركا — في البر والبحر!
إذ كنت أدمَنُها — بالشك والغـدر
فلأنتِي ثقـةً — بجمالها المُغرى
ورسمتِ لي صورا — لفراخهـا الخضر
تزْقُو فنطعمهـا — بحناننـا النضر
ونَريشُ أجنحة — من ريشها النّزر
فتطـير هازجةً — في جوّنا الشعرِى
وتئوب وادعـة — للعش كالطير!

* * *

يا فتنتي، هـذا — طيف من السحر
إن تأذني أضحى — شطراً من العمر
فهبي لي(١) روحا — من رُقيـةِ الثغر
هي قبلة تُمضي — ماشئتِ من أمر
وكأنهـا قَـدَرٌ — بسعادتي يجرى

سيد قطب

(١) من ديوان «أصداء الزمن» يصدر في ديسمبر
(٢) (كذا)

رجاء نفس
للأستاذ خليل هنداوي

لا تيأسي يا نفس واعتزمي — صبراً، فليس اليأس من خلقي
هذا مطاف المجد فانطلقي — قُدُماً، وهـذا العز فاستبقي

جارت على عصفور روضتنا — هوجاء تخبط خبطة القـدر
والآن جدد عشه فرِحاً — واختال يبسم بسمة الظفر

النور في الآفاق ملتمع — فتجلبي يا نفس بالنـور
والأفق قد ضحكت مشارقه — والسحب ترقص رقصة الحور

هذا الوجود صفت مشاربه — فترنحي كالشارب الثمـل
لنجـدد الآمال ثانية — ما أوسع الأيام بالأمل!

عودي إلى دنياك ناشـطةً — نبني على الأنقاض والرمم
لم يوح من أودى بمظهره — للحي معنى اليأس والسأم

أنا من إذا هدمتْ بنى وإذا — عبس القضاء بوجهه ابتسما
أنا من إذا سأمٌ تساورني — صيرتُ لهواً ذلك السأما...

خليل هنداوي

(١) (كذا)



من أساطير الاغريق

٤ ـ خرافة جاسون

للأستاذ دريني خشبة

تتمـــة

أقلعت الآرجو وطفقت تطوى عباباً من بعده عباب، ولجة من ورائها لجة؛ وبدا الطريق كأنه يطول، والأفق كأنه يحلولك، والسحب كأنما تتجمع من كل صوب لتنعقد فوق الآبقين بكنوز إيتيس وابنته وولى عهده ...

ونمى الخبر المفزع إلى الملك فجن جنونه، وهب من فوره يعد أساطيله ليقتفى آثار جاسون، عسى أن يقبض عليه، ويعود بابنيه وأعز كنزه ... وانطلق هو الآخر يطوى العباب، ويتواثب بأسطول فوق أعراف الموج، ووقف بين الملاحين يحضهم ويحرضهم، ويستحثهم ويشجعهم، حتى لاحت الآرجو لهم كالنكتة السوداء فى حمرة الشفق، أو المطوقة الورقاء فى صحيفة الأفق، فضاعفوا الجهود وشدوا الأذرع، واستبقوا إليها من كل فج؛ وكانت سفينة الملك فى المقدمة كالطائر الدليل يتبعه سائر السرب؛ ونظر الأرجونوت فأبصروا السفينة تنقذف فوق نواصى الموج نحوهم، فراحوا بدورهم يعملون المجاديف ويهدهدون الشراع للريح؛ وكلما اقتربت السفينة منهم خفقت قلوبهم وشاع فيها الذعر فجمد عليه يبرده. وكانت ميديا تنظر إلى مركب أبيها وترتعد فرائصها من الفرق ... وفكرت فى ألف حيلة وألف سحر، ولكن أفكارها ذهبت كلها أباديد، وبطل سحرها كله فهو لاينفع ولا يفيد ... واقتربت سفينة أبيها حتى صارت على رميـة سهم ... وأخذ أبوها المسكين يهتف بها وينادى، ويتوسل أن تعيد إليه ابنه ... ابنه الأوحد ... أبستروس ... «ميديا! ابنتى! أنا أبوك! أتوسل إليك! ردى علىّ ولدى واذهبى أنى تشائين! إنه أملى فى الحياة! إنه ولى عهدى وحافظ ذريتى! ميديا! أرسليه فى زورق واذهبى أنت ... !»

ولكن الفتاة غلّقت فؤادها وسدّت بالجحود سمعها! واأسفاه! بالقاسية! بالبرودة القلب الذى لايحس، والنفس التى لاترحم؟ لقد أمرت ميديا بالفتى فأحضر إليها، ثم شحذت سكيناً وأغمدته فى صدره، وتدفق الدم الحار ... دم الشباب الفينان ... يلطخ اليد الأثيمة المجرمة ... اليد الشقية، يد ميديا التى طوّعت لها نفسها الفلقة قتل أخيها، ثم تقطيعه إرباً ... ؟

ماذا خطر برأس الساحرة؟ أواه! لقد أخذت تمزق أخاها مزقاً مزقاً، وكلما اقتطعت منه شلواً قذفت به فى الماء، وأبوها المسكين المجنون يرى، فيضطر أن يتلبث عند الشلو لينتشله، ثم يتلبث عند الشلو الذى يليه ... وهكذا دواليك، حتى انتشل آخر الأمر الرأس العزيز ... الرأس الصغير الذى كان يبسم لأينع الآمال، ويحلم بأجمل الأمانى ... رأس أبستروس ... ولى العهد، والأمل المدّخر لأمة بأسرها ...

لقد انتشر الظلام فى عينى الملك ... وغمر قلبه قنوط مر ... وأمر الملاحين فطووا الشراع، وأخذوا يعودون أدراجهم إلى الوطن فى بحر هادئ كله هم، وكله حزن؛ وجلس إيتيس وبين يديه أشلاء ولده يغسلها بدموعه، ويخضبها بالدم الذى تذرفه عيناه

— «آه يا بنى! أية فروة وأى كنز؟ ليتك خلصت لى بكل ملكى! ميـديا! غضبت عليك آلهة السماء يا عاقة! تبت يداك يا أغدر البنات! ألا ليت أمك لم تلدك ... ! أبستروس! رد علىّ أبها الحبيب ... !» وهكذا ظل الملك المحزون يجتر أشجانه حتى عاد إلى الوطن!

***

ولكن جاسون ما خطبه؟! مسكين! لقـد كان ينظر إلى ميديا وهو مأخوذ بما تصنع! ولقد حاول أن يمنعها من ارتكاب

هذا الإثم ... لكنها حدجته بنظرة آمرة كان يرقص فيها ألف جنى ، فسكت ! وهل كان فى وسعه أن يفعل شيئاً ؟ ! أليس يذكر الحجر الواحد الصغير الأسود الذى أهلك جيشاً بأكمله ؟ ورد عنه كيد ألف ألف مقاتل من المردة الجبابرة ؟ ! بيد أنه عرف الآن ماذا كان يحجز بين قلبه وبين فم هذه المرأة الماثلة حين كانت تغمر خديه وجبينه بالقبل ! لقد كان السر الرهيب المطوي فى صحائف الغيب هو الذى يصون جاسون من مبادلتها حباً بحب وغراماً بغرام ، وقبلاً حارة ملتهبة بمثلها !

وقد فكر جاسون فى ملكه الضائع المغتصب ، وفى أبيه الضعيف الطريد ، وفى عمه الجبار العتى ، وفكر فى قوة ميديا الخارقة ، فآثر أن يبقى عليها عسى أن تنفعه ... لهذا أظهر لها التودد ، وتعمل فى حضرتها البشاشة ... حتى وصلت الآرجو إلى إيولكوس ، حاضرة تساليا ...

وحمل جاسون الفروة الثمينة ، وقصد إلى عمه ...

وذهل بلياس ... وجعل يحملق فى الكنز العظيم الذى أتاه به ابن أخيه ... وجعل يلمسه بيديه كأنه لا يصدق ... ولكن كيف لا يصدق وهذا بريق الذهب يكاد يذهب سناه ببصر عينيه جميعا ؟ !

— « ترى ماذا صنع هذا الفتى حتى وسعه أن يقهر ملك كولخيس على هذا الكنز العظيم ؟ إن الملك كان أحرص عليه من نفسه التى بين جنبيه ؟ ألا كم هلك أناس طمعوا فى فروة فركسوس ؟ عجلا فلكان ! وأرض مارس ! وجيل بأكمله ينبت من أنياب التنين ... ؟ والأفعوان الهولة الذى يحرس الفروة ؟ أظفر جاسون — هذا الفتى — بكل أولئك ؟ جاسون ابن أخى ؟ عجيب وحق الآلهة ... ؟ بل أسأله ، فلا بد من سر فى هذا الأمر ... » وسأله ، وتبسم جاسون ، وراح يلفق قصة طويلة قذف بها الرعب فى جوانح عمه ، وظل يتغنى بشجاعته ، ويصف ما كان من ظفره بعجلى فلكان ، وحرثه الأرض الجبوب ، وغرسه أنياب التنين ، ثم هذه الحرب الزبون التى شبها عليه المردة وما كان من إفنائه لجموعهم ، وتلك الملحمة التى قتل فيها التنين الرهيب الذى وكلت إليه حراسة الفروة العظيمة ... ثم إنه لم يشر بكلمة إلى ميديا

وأكرم عمه مثواه ... وكلما طلب إليه جاسون أن يتنزل له عن العرش ، مطله وراوغه ، وزخرف له الأمانى ... حتى أيقن جاسون أن عمه يعبث به ، بل يدبر له غيلة يخلص له العرش من بعدها ، ولا يعكر عليه صفو الحياة أىّ من تلاميذ شيرون !!

* * *

ولقى جاسون أباه ، فراعه أن يرى كومة من العظام نخرها الكبر ، وجللها المشيب ، وأوهاها الحزن ، وأوهنها الألم المتصل ، وناءت تحت كوارث الزمان ... وبكى جاسون! ولكن أباه انتهره وقال له : « أى بنى ليس لرجل مثلك شب على فضائل شيرون أن يبكى ! إنما يبكى النساء والمستضعفون من الرجال . على أنه ماذا يبكيك ؟ ألا إن كان يبكيك اقتلاع أبيك من العرش فلهذا عهدت بك إلى أستاذك المظيم ، وأحسبه قد ذكر لك ما كان من وصاتى له حينما عهدت بك إليه يهذبك ويؤدبك ... ولقد أصبحت رجلاً شيخاً هالكا ، أما أنت فنى صباك فى إبان ، ومن عنفوانك فى ريعان ، وأنت بالعرش أحق منى وأولى ، وهو بك منى ومن عمك أليق ، ولن أغفر لك قعودك عنه ، وليس فى تساليا إلا شعب يحبك ، ورعية تلهج بالثناء عليك ، فشمر عن ساعدك ، واطلب حقك بالقنا ياجاسون »

وذهب الفتى وقد اضطرم بين جنبيه جحيم من النقمة على عمه ، فلقى أول من لقى ميديا

— ماذا ، فيم أنت مقطب هكذا يا حبيبى ؟

— لا شىء ... لا شىء مطلقاً !

— لا شىء ؟ وكيف ؟ ألا تفهم ميديا ما فى نفسك؟ حدثنى ولا تخف علىّ !

— لا شىء وحقك يا ميديا

— أوَ مُصرٌّ أنت على كتمان دخيلتك عنى ؟ إذن لقد كان أبوك يعظك !

— أجل ! وبهذه المناسبة أريد أن أقول لك كلمة ...

— قل يا حبيبى ! تكلم يا جاسون !

— إن لك إلماماً تاماً بغرائب السحر ، وعلم التعاويذ والرُّقى ولقد نفعنى علمك فى أحرج مواقفى ... ولن أنسى مساعدتك يوم لقيت عجلَىْ فلكان ، وحاربت المردة ، وقتلت التنين ... إنما فعلت كل أولئك بمعونتك ، ولى رجاء إليك ...

— رجاء ؟ أى رجاء يا حبيبى ؟ إنما أنت تأمر ...

— شكراً ! ألا تستطيعين ياميديا أن تردى الشباب إلى أبى؟

إنه رجل شيخ محطم ، وإن الأيام لتنحدر به إلى القبر ، كما تنحدر صفوانة من شاهق ... فهل عزيز على علمك أن ترديه إلى ما ولى من الصبى ؟ ... خذى من عمرى فَصِلى عمره إن استطعت ! أتوسل إليك يا ميديا أن تفعلى ! ... »

— اطمئن يا حبيبى فليس أيسر مما طلبت ، وسأرده إلى ميعة شبابه بقليل من العناء ... وسأزيد فى عمره ما أحببت ... على ألا تنقص سنوك شيئاً بل تزيد إن شئت ؟ !

***

لقد كان البدر تماً ، والليل الفضى الجميل أروع ما ينثر لجينه على الطبيعة النشوانة (١)، وكل ما فى البرّية نائماً ساكناً، والعشب الحلو كان نائماً كذلك ... وكانت ميديا تخطر كالشبح الأبيض بين الآكام وملء الأدغال حتى أتت إلى ربوة تشرف على كل ما حولها فصعدت فوقها ... وتلبثت قليلا تفحص الطبيعة الرائعة فى الأرض والسماء بعينيها الجبارتين ثم بدأت تتلو تعاويذها وتقرأ رُقاها ... وترسل للنجوم صلاة سحرية كان يحملها الليل الصامت إلى أرجاء السماء وإلى القمر الحالم الساهم ... ثم سبحت سبحاً طويلاً باسم هيكاتيه ربة السفل والسحر ، وباسم تللوس ربة هذه الأرض العجيبة النائمة التى تنبت البقل والعشب لِما تعمل ميديا ... وصلّت كذلك لآلهة الغاب والأنهار والبحار والغدران ، ولآلهة الرياح والضباب والسحاب ، وصلت لجميع الآلهة ، ولم تفتر تطلق التعاويذ وترسل الرقى ...

ثم سكتت ... وصمت حولها كل شىء ... حتى الرياح كتمت أنفاسها ... ثم تشققت السماء فكانت وردة كالدهان ... ثم انفتح فيها باب كبير من ذهب ، وبرزت منه عربة عجيبة يجرها أفعوانان هائلان ، فلم يزالا يطويان الرحب حتى كانا عند قدمى ميديا ... وتقدمت الساحرة وهى تبتسم فركبت فى العربة ، وانطلق الأفعوانان يجرانها فى الهواء ، ويرفان بها فوق الوديان والغيران ، وفوق قلل الجبال وهضاب الأرض ، وفوق الغاب الساكن المستسر ، وفوق الأنهار والبحار ... وفوق كل شىء ... حتى انتهت إلى آخر أقطار الأرض حيث تنبت الأعشاب العجيبة التى تنفعها فى سحرها ... وهناك ... مكثت الساحرة تسع ليال بعيدة عن العالم تجمع العشب وتنتقى البقل ذا الأسرار ؛ ثم ركبت عربتها وانسابت فى الهواء حتى أتت بيت جاسون ، فنزلت بحملها العجيب وعرج الأفعوانان فى السماء ...

وفى الصباح ، فوجئ جاسون بوجودها فذعر ذعراً يشوبه شئ من التفاؤل بعودة الشباب إلى أبيه كما وعدت ... وأمرت أن يخلى بينهـا وبين إيسون حتى لا ترى عين إلى ما تصنع ، ولا تنكشف أسرار سحرها لأحد ما من العالمين ... ثم إنها أقامت مذبحين عظيمين أحدهما باسم هيكاتية ربة السفل والسحر ، والآخر باسم هيب ربة الشباب ، وذبحت لكل شاةً سوداء فاحمة السواد ، ثم صبت على دمائهما صلاةً للربتين من خمر ولبن ... ~~وتوسلت بعد ذلك إلى بلوتو رب هيدز ، وإلى زوجه بروز ربين ،~~ ألا يعجلا بقبض روح إيسون ... ثم بدحت نحو الرجل فتمتمت برُقْية أسلمته إلى نوم عميق ، وأضجعته على فراش مهدته له من الأعشاب العجيبة التى حملتها من أقصى الأرض ، وطفقت بعد هذا تخطر وتدور حول الجثة ، وشعرها المهدل يداعبه النسيم ، وصدرها المنكشف ناهد نحو السماء ... حتى إذا أتمت دورات ثلاثاً وقفت ، وشحذت سكيناً ماضياً ، وجعلت تشعل أعواداً من عشبها وتنظمها حول المذبحين ... ثم تناولت إداوَتَها التى حفظت بها أعشابها ذوات الأسرار ، وحفظت بها أزهاراً فيها من الرحيق السحرى ماهو آية ، وجعلت فيها من حجارة الشرق ورمال البحر المحيط ، ومن البَرَد الذى جمعته أثناء رحلتها فى ضوء القمر ، وجعلت فيها رأس بومة وجناحيها ، وحَوايا ذئب ، وبقايا من صدفة سلحفاة ، ومزقاً من كبد غزال ، ورأس غراب ومنسره ، وما إلى أولئك من آثار الحيوانات المعمرة ؛ ثم صبت على ذلك كله ماء وتمتمت بكلمات ، وأشعلت ناراً فجعلت عليها الإداوة بما فيها ، وتركتها تغلى وتفور ، وهى فيما بين هذا وذاك تعوّذ وتهمهم ، وتتمتم وتغمغم ، ثم تُقلب مافى الإداوة بغصن زيتون أملود ... فما كاد السائل يفور حتى نمت فى الغصن أفنان من الورق الأخضر ، وحبات من الزيتون يكاد زيتها يقطر منها ، وكلما نثرت منه على الأرض شيئاً نما مكانه عشب حلو أخضر كأحسن ماينمو العشب فى إبان الربيع !

ثم شحذت سكينها مرة ثانية ، ثم أهوت على حلقوم الشيخ فقطعته ، وتركت دمه ينبجس من الجرح الكبير حتى سال أجمعه ؛ ثم إنها صبت من الإداوة فى الجرح وفى الفم ، كأنما

(١) المشهور نشوى وقد استعملنا هنا لغة بنى أسد كسكرانة

تجمل منه مكان ماسال من الدم ... وما هي إلا لحظة حتى دبت الحياة الفتية فى جوارح الرجل الهدم المحطم ... فهذا شعره يَسْوَدُّ ويصير فاحماً غربيباً ... وهذا وجهه الجعد ذو الأسارير يمتلىء باللحم والدم ، وهذا ظهره المحنى يستقيم ويمتلىء قوة وعنفواناً ، وهذا دم الشباب يجرى فى عروقه كقبل أن يكتهل ، وها هو ذا يثب كالغلام الأمرد السمهرى ، ويشب على إخمصيه كأرشق مايفعل الصبيان !! وهاهو ذا الوجه يكتسى جمال العصر الخالى ... ثم ها هو ذا جاسون يقبل من بعيد فينظر إلى أبيه وكأنه فى حلم ... ويعانقه ويهنئه ... ويشكر ميديا ... ويبكى !!

* * *

— أرأيت يا حبيبى ؟ أليست لك حاجة بعد ؟

— وكيف ياميديا ؟ إنى مفتقر أبداً إلى واسع علمك ، ومبين سحرك !

— أمهمة أخرى ؟

— أجل يا ميديا ! ألا ترين إلى والدى مطروداً من عرشه ، وإليَّ يقتلنى الحزن من أجل ذلك ؟ ألا تصنعين شيئاً ينفعنا فى ذلك ؟

— ولم لاتقتل عمك ؟ ألا يستحق القتل بعد كل هذه الجرائم ؟

— أنا ضعيف يا ميديا ... وهو رجل جبار وله جند ...

— إذن أنا أكفيك مؤونة ذلك ...

* * *

وأخذ إيسون يجوب شوارع المدينة فيراه الناس ، ويعجبون لهذا الشباب الذى تدفق فى بردتيه ، فيسجدون له وإن منعهم الجند وطاردوهم ... وعلم بنات الملك بما ردّت ميديا على عمهم من رونق الصبى ، وما ألبسته من رواء الشباب ... وكان أبوهم قد بلغ من الكبر ، ورزح تحت أعباء الملك المغتصب ، فوددن لو أتين له بميديا لتصنع معه ما صنعت مع إيسون ... واتصلن بالساحرة ، وأغرينها بالمال ، فرحبت وقبلت مختارة أن ترد إلى أبيهن الصبى ، حتى لا يغلبه على الملك إيسون ولا ولده جاسون ... وأحضرت الإداوة بما وعت من عشب ، ثم جىء لها بالشاة السوداء ، ولكنها حين تمتمت بكلماتها السحرية ، وكانت الإداوة تغلى بما فيها من سائل عجيب ، قفزت الشاة فكانت فى الإداوة ، ثم قفزت منها فكانت حَمَلاً وديعاً جرى إلى السهول يرعى العشب ... وطرب البنات حين شهدن آية السحر وإعجازه ... ثم جىء بالملك وحراسه ليشهدوا ... وأعطت ميديا كلا منهن سيفاً مسلولاً وتمتمت بكلمات فدارت الأرض برأس بلياس وصحبه وحراسه ، فسقطوا وغطوا فى سبات عميق ... وأشارت ميديا إلى البنات أن يضربن بسيوفهن عنق أبيهن وصدره لتبدأ هى عملها ... فتلكأن أول الأمر ... ثم أطعن ، وحركن أيديهن بالسيوف فى ضعف وفرق فأحدثن به جروحاً أيقظته ... فلما شهد بناته تأوه وتوجع وصرخ بهن : « ويلاه ! بناتى يقتلننى ! ؟ » وخافت ميديا أن يبطل سحرها فبدت فى صورة إحدى بناته ، واستلت سيفاً مرهف السنان وأغمدته فى صدر الملك اللص ... فمات إلى الأبد ... وأغمض عينيه ليفتحهما فى هيدز ... وفى هيدز فقط ...

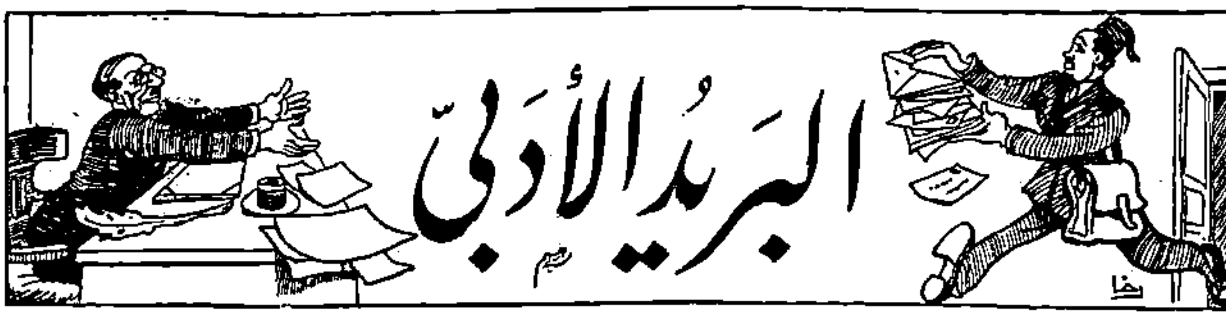
وكانت ميديا قد هتفت بالآلهة فأرسلت إليها العربة التى يجرها الأفعوانان ، وكانت قد فعلت فعلتها حين بدأ الفجر ينبلج ، فركبتها ولاذت بالفرار قبل أن يكشف صنعها أحد !

سبحان مقلب القلوب !! إن كل هذا السحر لم ينفع ميديا ! لقد كان قلب جاسون متلقاً دونها برغم أنه بر بوعده فتزوج منها وأولدها أطفالاً أبرياء أطهاراً نقيين كالثلج !! لقد أحب جاسون الأميرة كروزا ملكة كورنث ، وأحب هذه المرة حباً صريحاً لايشوبه ذعر ... ولا تعكره التعاويذ ... ولا تتلفه رُقى السحر ... وأعلنت الخطبة ، فجن جنون ميديا ... واسودت الدنيا فى قلبها وعينيها ... وهالها تنكران جاسون لجميلها الذى ناله مثنى وثلاث ورباع ... ولِمَ لا ؟ أليست هى التى مهدت له سبيله إلى العرش ؟ أليست هى قاتلة بلياس ... إذن فالويل له !!

ودست إلى أميرة كورنثا ثوباً لو اجتمعت الجن والإنس لم تقدر على مثله ! ... فلما كانت ليلة الزفاف، لبسته كروزا ، ولكنها ماتت لساعتها ! أواه ! لقد كان الثوب مسموما ... وكان ما به من سم يكفى لقتل شعب بأسره ...

ولم تكتف الساحرة بذلك ، بل شحذت سكينها ، وأعادت مأساة أبتروس ، فقتلت جميع أبنائها من جاسون ... وأشعلت النيران فى القصر الملكى ... وفرت إلى أثينا على العربة السحرية لتتزوج من ملكها إيجيوس ، ولتلقى ثمت مصرعها

دريني خشبة



جائزة فاروق الأول لإحياء العلوم والفنون والآداب

أرسل حضرة صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفي باشا وزير مصر المفوض في لندن إلى وزارة المعارف مذكرة يقترح فيها إنشاء جائزة مالية سنوية باسم « فاروق الأول » تمنح للمصريين المتفوقين في العلوم والآداب والفنون

وقد أحالت الوزارة هذا الاقتراح إلى لجنة لبحثه فأبدت طائفة من الآراء نشير إليها فيما يلي :

وافقت اللجنة سعادة المقترح على فكرة المباريات لما لها من الأثر الحسن في نهضة التأليف وإبراز ما يجول بخواطر العلماء والمفكرين من النزعات العلمية والفكرية ، بعد أن انصرف الكثيرون منهم عن البحوث والدراسات لأسباب مختلفة ؛ ولكنها تشترط في الكتب التي تقدم لهذه المباريات : أن تكون مثلاً صالحاً للابتكار ، وأن تكون جديرة بإحداث الأثر المرجو ؛ على ألا تكون هذه الكتب مترجمة ولا منقولة إلا ما يؤخذ من ذلك على وجه الاستشهاد أو الاقتباس

وتقترح اللجنة أن تكون الموضوعات التي تعرض في هذا السبيل سبعة : تاريخ الأدب المصري ، والنقد الأدبي ، وتاريخ مصر ، والاجتماع والتشريع والاقتصاد فيما له علاقة بمصر . ومسائل التربية والتعليم وتطبيقها في مصر . والزراعة في مصر . والعلوم في مصر

وترى اللجنة أن تكون الكتب مطبوعة ، وأن تنتظم لجان التحكيم فيها كبار العلماء والأدباء ، على أن يتم اجتماع هذه اللجان مرة في كل عامين

ثم أقرت الرأي القائل : بأن تتوج الجوائز « باسم فاروق الأول » فيقال : جائزة « فاروق الأول لتاريخ الأدب المصري » أو جائزة « فاروق الأول للعلوم » وهكذا

وقد تقرر أن تعقد لجنة برأسها وكيل وزارة المعارف وتضم الوكيل المساعد ومراقبي التعليم لدراسة هذه الآراء والمقترحات وإعداد تقرير عنها توطئة لإصدار تشريع خاص بذلك ، لأنها ستكون جائزة رسمية للدولة

رامسي مكدونالد الكاتب والمفكر

لما نعي المرحوم المستر رامسي مكدونالد السياسي البريطاني الكبير ورئيس الوزارة البريطانية الأسبق أفاضت صحفنا في استعراض حياته السياسية ؛ ولكنها نسيت في حياته ناحية خطيرة هي ناحية التفكير والكتابة ؛ ذلك أن ماكدونالد كان كاتباً اجتماعياً واقتصادياً كبيراً ، وله في هذه الناحية آثار عديدة قيمة نذكر منها : « العمل والامبراطورية » Labour and Empire (سنة ١٩٠٧) ؛ « الاشتراكية والحكومة » Socialism and the Government (١٩٠٩) ؛ « يقظة الهند » Awakening of the India (١٩١٠) ؛ « الحركة النقابية » Syndicalism (١٩١٢) ؛ « البرلمان والثورة » Parliament and Revolution (١٩١٩) « الاشتراكية الناقدة والمنشئة » Socialism. Critical and Constructive (١٩٢١) ، وغيرها

وقد كان مكدونالد كاتب الاشتراكية الانكليزية ولسانها ، وكتابه عن الاشتراكية الذي صدر لأول مرة في سنة ١٩٢١ ثم أصدره بعد ذلك في سنة ١٩٢٤ ، وقت أن كان رئيساً لوزارة العمال الأولى ، يعتبر من أقوم الكتب الانكليزية التي صدرت في هذا الموضوع لا من الناحية العلمية والفنية ، ولكن من ناحية أنه يعبر أحسن تعبير عن ميول الاشتراكية الانكليزية ومثلها .

وقد كان مكدونالد مدى أعوام طويلة زعيما لحزب العمال الانكليزي وزعيم الحركة العملية الانكليزية ، والمعبر عن أمانيها ومثلها ؛ وفي كتاب « الاشتراكية » يدلل مكدونالد بشروحه على أن

الاشتراكية الانكليزية لم تتقدم كثيراً فى مثلها الاقتصادية والاجتماعية عن الاشتراكية الفابية أو الاشتراكية الاصلاحية ، وإنها أبعد ما تكون عن روح الثورة الاجتماعية والاقتصادية التى ترمى إليها اشتراكية القارة الأوربية وتعمل لها . ولما تولى حزب العمال الحكم برآسة مكدونالد ظهرت هذه الحقيقة بصورة عملية فى سياسة الحزب الداخلية والخارجية ، وظهرت الاشتراكية الانكليزية فى صبغتها القومية العميقة . والخلاصة أن كتاب مكدونالد فى « الاشتراكية » هو رسالة الاشتراكية الانكليزية وحدها ، وهو يعتبر من جانب أنصار الاشتراكية المتطرفة رجعياً فى نظرياته وشروحه

جوائز نوبل

حملت إلينا الأنباء الأخيرة أسماء الفائزين ببعض جوائز نوبل لهذا العام ؛ فقد منحت لجنة جامعة استوكهلم جائزة نوبل للكيمياء للعالم النرويجى كارلر والأستاذ هاويت الانكليزى ؛ ومنحت جائزة نوبل للعلوم الطبيعية للأستاذ وارسون الأمريكى والأستاذ تومسون الانكليزى

وفاز بجائزة نوبل للآداب ، وهي فى الواقع أشهر جوائز نوبل ، الكاتب الفرنسى روجيه مارتان دوجار Roger M. Dugard ومسيو دوجار من جيل الكتاب الشبان الذين ظهروا فى عالم الصحافة بادىء ذى بدء ، ثم نبهت أقلامهم فى عالم الأدب ؛ واشتهر بالأخص بفصوله الأخبارية الشائقة . وتنقل مسيو دوجار فى دوائر الأدب ، وتزعم جماعة من الكتاب الشبان الذين انضووا تحت لواء مجلة الأخبار الأدبية Nouvelles Littéraires ، ولبث مدى أعوام مديراً لهذه الصحيفة الأدبية الهامة ، ولم يتركها إلا منذ حين ، إذ حل مكانه فى إدارتها الكاتب ليفبر ؛ وظهرت فى مجلة الأخبار الأدبية بقلم مسيو دوجار فصول ومقالات شائقة كثيرة معظمها عن مشاهدات وسياحات ، وكان منها عدة فصول نشرت عن مصر ، ونالت استحساناً عظيما . وله غير مقالاته الصحفية العديدة كتب وقصص تمتاز بقوة العرض وطلاوة الأسلوب

ويلوح لنا أن دوائر ستوكهلم المشرفة على جوائز نوبل أضحت تميل إلى تقدير النوابغ من الكتاب الذين لم تهيىء لهم الظروف من الشهرة والمكانة ما يتفق مع عبقريتهم ، ولم تعد تتقيد كما كانت فى الماضى باختيار أولئك الأعلام الذين تربعوا فى ذروة الشهرة والنفوذ ، ومن ثم كان اختيارها لكتاب مثل إيفان بونين ، ودوجار ، لم يبلغوا — قبل فوزهم بجوائز نوبل — مكانة عظيمة من الشهرة فى عالم الأدب فرفعتهم باختيارها إلى المكانة اللائقة بفنهم وعبقريتهم

كيف يشجعون الآداب والفنون

يظهر أن السويد قد وطدت العزم على أن تغدو أولى الأمم فى حماية الآداب والفنون ، فهى فضلا عن جوائز نوبل الشهيرة التى تمنحها كل عام لعدة من أكابر العلماء والكتاب فى مختلف الأمم ، والتى تتدفق بمقتضاها على الفائزين عشرات الألوف من الجنيهات كل عام ، تضرب كل يوم مثلا جديداً فى هذا الميدان . وآخر ما انتهى إلينا من ذلك أن هبة جديدة قدرها مليون كرون (نحو ٥٥ ألف جنيه) قد رصدتها دار النشر السويدية الشهيرة « ألبرت بونير » لتشجيع المؤلفين والفنانين ، وذلك لمناسبة الاحتفال بعيدها المئوى . وقد أطلق على هذه الهبة « التذكار المئوى لألبرت بونير » وذلك تنويهاً بانقضاء مائة عام على صدور أول كتاب أصدرته هذه الدار ؛ وخصص دخل هذا الاعتماد للمؤلفين والصحافيين الذين يكتبون باللغة السويدية والفنانين الذين يتولون التصوير للكتب ؛ وندب لادارته مجلس يتألف من ممثلى الواهبين ، والصحافة ، ودوائر الأدب والفن السويدية ؛ ويجرى توزيع الجوائز السنوية تحت إشراف الجامعة السويدية

وهكذا تضرب الأمة السويدية الأمثلة الرائعة على رفيع تقديرها لعبقرية الفكر وعبقرية الفن . وقد كان نوبل صاحب الجوائز العلمية والأدبية العظيمة من رجال المال والصناعة ؛ وصاحب الهبة الجديدة ، وهو الدكتور بونير من رجال المال والصناعة ؛ ومع ذلك فان أولئك المولين استطاعوا أن يقدروا ما للآداب والفنون من الأثر العظيم فى نهضة الأمم وفى ازدهار الحضارة

أما فى مصر فان الآداب لم تنل حتى اليوم تقديراً ولا تشجيعاً ، لا من الجهات الرسمية ، ولا من رجال المال ؛ وما زالت فكرة الجوائز الرسمية لتشجيع التأليف تتردد منذ أعوام بين اللجان والجهات المختلفة دون أن تحظى بالتنفيذ العملى

محاضرات ألمانية عن الفن المصرى

قرأنا فى البريد الألمانى الأخير خلاصة لبعض محاضرات يلقيها العلامة الأثرى الألمانى الدكتور جورج ريدر فى همبورج عن أثر الفن المصرى فى تطور الفن اليونانى والفن الرومانى . ومن رأى العلامة ريدر أن الفن المصرى القديم بدأ من فجر التاريخ مستقلاً بنفسه منعزلاً عن غيره إلى نحو ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ، ثم اتصل الفن اليونانى عندئذ بالفن المصرى ؛ ودلل المحاضر على نظريته بعرض صور مختارة من تراث مصر الفرعونى غير الآثار الفرعونية المعروفة . ومن قبل المسيح بنحو ثلاثة آلاف عام لبث الفن المصرى كما هو ثابتاً فى أساليبه وألوانه ؛ فلما وقعت الصلة بين الفنين اليونانى والمصرى تأثر الفن اليونانى بالفن المصرى تأثراً كبيراً ، ولبث هذا التأثير ظاهراً إلى ماقبل المسيح بنحو ثلاثة قرون ، ثم تطور بعدئذ إلى أصوله وأساليبه الخاصة ؛ ثم كان بعد ذلك تأثر الفن الرومانى بالفن اليونانى

كتاب جديد عن مأساة التامبل

هذا كتاب جديد عن لويس السابع عشر وضعه المؤرخ الانكليزى مورتون بعنوان ولى العهد « The Dauphin » ؛ وولى العهد هو الطفل لويس شارل ولد لويس السادس عشر ومارى انتوانيت ، وقد ترك وحيداً فى سجن التامبل بعد قتل والده ثم والدته على نطع الجلاد ؛ ولبث فى سجنه الرطب القذر يلقى من حراسه أغلظ معاملة حتى مرض وأصابه انحلال مادى ومعنوى شديد . وهنا يسدل على مصير هذا الأمير الطفل حجاب كثيف ، هل توفى فى التامبل حسبما تؤكد الروايات المعاصرة والتقارير الرسمية ؟ أم هل استطاع الملكيون أن يستبدلوا به طفلا آخر ، وأن يمهدوا له سبيل الفرار إلى حيث شب وترعرع وقضى حياة مجهولة ؟ هنا يضطرم الجدل وتكثر الروايات المدهشة ؛ وهنا تبدو قصة الطفل الشهيد فصلا من أغرب فصول القصة . وفى أوائل القرن التاسع عشر انتحل كثيرون فى مختلف الأنحاء شخصية الأمير ، وزعم كل منهم أنه هو الطفل لويس شارل وأنه هو ولى العهد الفار ، نجا من سجنه بأعجوبة ، وكان أشدهم إلحاحاً فى ذلك شخص ظهر فى ألمانيا واسمه كارل ناوندورف ، كان لمزاعمه صدى عميق ووصلت إلى القضاء الفرنسى . وفى عصرنا ظهرت روايات عديدة أخرى عن مصير ولى العهد قدمها إلينا مؤرخون مثل لينوتر ، خلاصتها أن الأمير الطفل فر من سجنه وسافر إلى بعض جزر الهند الغربية وتوفى هنالك فى بعض الشاغبات المحلية . وفى الكتاب الجديد يسرد مستر مورتون كل هذه الروايات والقصص بأسلوب شجى مؤثر يطبعه طابع على وزن

السينما للأمهات

قامت شركة الفحم وغاز الاستصباح البريطانية بعمل جليل لا يمت إلى أعمالها بصلة ، وهو وإن يكن من قبيل الإعلان عن نفسها إلا أن له قيمته الكبيرة وأثره فى أوساط التربية ودور العلم ... ذلك أنها عملت شريطاً سينمائياً لحياة الصغار فى مدارس رياض الأطفال والمدارس الابتدائية ، وأنفقت عليه مبالغ طائلة من مالها الخاص فجاء آية للأشرطة التربيوية ، ومثالاً يحتذى ... وقد عنيت الشركة بإظهار وسائل الحياة فى مدارس الأطفال وتلك العلائق المحببة التى تقوم بينهم وبين المدرسات على المودة والمحبة والألفة والحرية التى لا حد لها ... ويبدأ الشريط بعرض حياة الأطفال من وقت قيامهم من الفراش إلى أن يعودوا إليه ، فلا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا يحصيها ... ولما كانت الحياة فى رياض الأطفال مثالاً عالياً لما ينبغى أن تكون عليه تنشئة الصغار فقد اقترحت صحيفة (عالم المعلمين) على الشركة عرضه فى منتديات السيدات ودور السينما والمجتمعات العامة ، على أن يشهده فيها جميع الأمهات بالمجان ، ليترك فيهن أثره المرجو ، ولتضمن بريطانيا جيلاً جديداً ينشأ على وسائل علمية نيرة كان يجهلها الجيل القديم . ثم لتكون كل البيوت الإنجليزية بهذا العرض رياضاً للأطفال ... ونحن بدورنا نقترح على وزارة المعارف عمل هذا الشريط التربيوى الجميل ليعرض فى طول البلاد وعرضها على الأمهات ، ليقبسْنَ منه ويَقِسْنَ عليه فى تنشئ فلذات أكبادهن

الاحتفال بالذكرى الألفية لوفاة المعرى

قررت وزارة المعارف السورية بمناسبة مرور ألف عام على وفاة أبى العلاء المعرى إقامة مهرجان ألفى لإحياء ذكراه تدعى اليه مصر وجميع الأقطار العربية

وقد انتهت الحكومة السورية من وضع تصميم لبناء ضريح الشاعر الفيلسوف فى مسقط رأسه (المعرة) من ولاية حلب

المرحوم العلامة كيفمابر

نعت أنباء برلين الأخيرة المرحوم العلامة الدكتور جورج كيفماير المستشرق الألمانى الكبير ، ورئيس جمعية الدراسات الاسلامية الألمانية وأستاذ اللغة العربية سابقاً بمعهد اللغات الشرقية ببرلين . توفى فى نحو الثمانين من عمره بعد حياة علمية حافلة أسدى فيها للمباحث الاسلامية والآداب العربية خدمات جليلة ؛ وكان من طبقة المستشرقين الأكابر التى تنقرض اليوم أمثال نيلدكه وزاخاو وبيكر وغيرهم من زملائه وأصدقائه . وتخصص الدكتور كيفماير فى دراسة الآداب العربية ، وتتبع بالأخص تطورات التفكير الشرقى الحديث والثقافة العربية المعاصرة ؛ وله فى ذلك بحوث نقدية عديدة نشر معظمها فى مجلة معهد اللغات الشرقية Milteilungen des Seminars für O. S. ؛ ولبث مدى أعوام طويلة ركناً من أركان معهد اللغات الشرقية ، ولم ينقطع عن التدريس فيــه إلا فى الأعوام الأخيرة إذ تفرغ لدراساته وكتاباته فى مجلة العالم الاسلامى Die Welt des Islams التى كان يصدرها باسم جمعية الدراسات الاسلامية والتى قطعت إلى اليوم زهاء عشرين عاماً من عمرها

وفى سنة ١٩٢٨ قام الدكتور كيفماير برحلة دراسية فى مصر وبلدان الشرق الأدنى ، واشترك بعدئذ فى وضع كتابين انتفع فيهما بهذه الدراسة : أولها كتاب زعماء الأدب العربى المعاصر الذى وضعه بالانكليزية مع تلميذه وصديقه الدكتور طاهر خميرى الذى يقوم الآن بتدريس اللغة العربية فى معهد همبورج الشرقى ، والثانى كتاب « أين يتجه الاسلام » الذى وضعه بالانكليزية عدة من أكابر المستشرقين ، وتولى الدكتور كيفماير كتابة القسم الخاص بمصر فيــه ؛ وكان للعلامة الراحل أصدقاء عديدون فى مصر وجميع البلاد العربية ، وكان بارعاً فى كتابة العربية والتحدث بها . وسنوافى القراء فى فرصة أخرى بدراسة مفصلة لحياة العلامة الراحل وآثاره

معرض لذكرى لورد بيرون

وضع أخيراً فى انكلترا مشروع لتخليد ذكرى الشاعر الانكليزى الكبير لورد بيرون بصورة دائمة ، وذلك بأن يقام فى المنزل الذى كانت تملكه أسرة الشاعر فى قرية « نيوستيد أبى » معرض دائم لتراث الشاعر ومخلفاته وكل ما يتعلق بحياته وشعره . وقد كان هذا المنزل الريفى الذى نشأ فيه الشاعر وأحبه أعز ما لديه ، ولكنه اضطر إلى بيعه فى سنة ١٨١٧ حينما سافر إلى اليونان ليدافع عن قضيتها الوطنية . وأخيراً قررت بلدية نوتنهام شراءه من أصحابه الحاليين ووقفه لتخليد ذكرى الشاعر . وسيكون بين محتويات هذا المعرض الذى سمى « بمعرض بيرون » مجموعة كاملة من مؤلفات بيرون فى طبعاتها المختلفة ، ومخطوطات الشاعر ، وأوراقه ورسائله ، وأوراق أسرة بيرون كلها . وبين الخطابات التى تتألف منها هذه المجموعة خطاب مؤثر من خادم اللورد بيرون ، وليم فلتشر ، ينعى فيه سيده إلى أسرة الشاعر ، ويصف وفاته فى ميسو لونجى فى ابريل سنة ١٨٢٤

وقد صدر بهذه المناسبة فهرس قيم لآثار الشاعر وأوراقه وفيه وصف شامل لها : وبه أيضاً خلاصة وافية لحياة الشاعر ومذكرات مختلفة عن جوانب من حياته ، وصور له ولزوجه وأمه وأخته وابنته

وهكذا يحظى الشاعر الكبير أخيراً بأثر حى يخلد ذكراه بصورة دائمة ، وكانت هذه أمنية قديمة « لأصدقاء » بيرون والمعجبين بشعره وعبقريته وحياته الروائية المؤثرة

أثر تذكارى للشاعر الانجليزى كبلنج

أقيمت فى لندن وليمة شائقة احتفالاً بافتتاح العمل لانشاء أثر تذكارى للشاعر الانكليزى كيلنج ترأسه الارل اثلون وكانت برفقته زوجته البرنسس أليس ابنة الدوق البنى وحفيدة الملكة فكتوريا . وقد تليت أثناء الوليمة رسالة من الملك جورج السادس يظهر بها ارتياحه إلى اجتماع ممثلين من جميع أنحاء الأمبراطورية توطئة لاقامة تذكار مناسب لشاعر يعد نبوغه تراثاً لجميع المتكلمين باللسان الانكليزى . وقد اشترك فى هــذه الوليمة ألف رجل وامرأة من المعجبين بأشعار كيبلنج فى كل العالم . وقد تليت رسائل من رؤساء حكومات الهنود والدومنيون تمنوا بها النجاح لهذا المشروع الذى بلغت الاكتتابات المالية له حتى الآن ٣٥ الف جنيه

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى رقم ٧